المنار

١٣١٥

قمر جمادى الثاني يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر سلخ رجب ١٣٣٠ هـ ق ٢٣ الصيف الاول ١٢٩١ هـ ش ١٤ يوليو ١٩١٢ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٣٤ : ١٣٤) يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا، وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥ : ١٣٥) يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ . وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

قد علم مما سبق مكان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة مما قبلها وهي احكام عامة في الايمان والعمل وأحوال المنافقين وأهل الكتاب في ذلك . فأما قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ الخ فهو يتصل بما قبله من الآيات القريبة خاصة بما فيه من الأمر العام بالقسط بعد الأمر بالقسط في اليتامى والنساء ، فهنالك خص اليتامى والنساء في سياق الاستفتاء فيهن ، ولأن حقهن آكد ، وظلمهن معهود ، وههنا عم الأمر بالقسط لأن العدل حفاظ النظام، وقوام امر الاجتماع ، و بما فيه من الشهادة لله بالحق ولو على النفس أو الوالدين والاقربين وعدم محاباة أحد في ذلك لغناه ، أو مراعاته لفقره ، لأن العدل والحق مقدمان على الحقوق الشخصية وحقوق القرابة وغيرها . وكانت محاباة الاقربين معهودة في الجاهلية ، لأن أمرهم قائم بالعصبية ، فالواحد منهم كان ينصر قومه وأهل عصبيته لأنه يعتز بهم ، كما يظلم النساء واليتامى لضعفهن ، وعدم الاعتزاز بهن ، فحظر الله محاباة المرء نفسه أو أهله هنا وإعطاءهم ما ليس لهم من الحق، يقابل حظر ظلم النساء واليتامى هناك وهضم مالهن من الحق . روى ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مولى لابن عباس قال لما قدم النبي (ص) المدينة كانت البقرة أول سورة نزلت ثم اردفتها سورة النساء قال فكان الرجل تكون عنده الشهادة قبل ابنه او ابن عمه او ذوي رحمه فيلوي بها لسانه او يكتمها مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقضي فنزلت « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » فتأمل كيف بقي تأثير المحاباة فيهم بعد الاسلام حتى نزلت الآية

القوامون بالقسط هم الذين يقيمون العدل بالإتيان به على أتم الوجوه وأ كلها وأدومها فان « قوامين » جمع قوّام وهو المبالغ في القيام بالشيء ، والقيام بالشيء هو الاتيان به مستويا تاما لا نقص فيه ولا عوج ، ولذلك أمر تعالى باقامة الصلاة واقامة الشهادة وإقامة الوزن بالقسط ، لتأكيد العناية بهذه الاشياء ، ومن بنى جدارا مائلا أو ناقصا لا يقال إنه اقام البناء أو أقام الجدار ، قال تعالى « فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقضّ فأقامه » وانما احتاج الجدار الى الاقامة لأنه كان مائلا متداعيا للسقوط . وهذه العبارة أبلغ ما يمكن ان يقال في تأكيد أمر العدل

والعناية به، فالامر بالعدل والقسط مطلقاً يكون بعبارات مختلفة بعضها آكد من بعض: تقول اعدلوا أواقسطوا، وتقول كونوا عادلين أو مقسطين، وهذه أبلغ لأنها أمر بتحصيل الصفة لا بمجرد الاتيان بالقسط الذي يصدق بمرة، وتقول: أقيموا القسط، وأبلغ منه: كونوا قائمين بالقسط ، وأبلغ من هذا وذاك : كونوا قوامين بالقسط ، اي لتكن المبالغة والعناية باقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم ، بان تتحروه بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم ، والقسط يكون في العمل كالقيام بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد ، ويكون في الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان اويحكمه الناس فيما بينهم . وكان ينبغي أن يكون المسلمون بمثل هذه الهداية أعدل الأمم وأقومهم بالقسط ، وكذلك كانوا عند ما كانوا مهتدين بالقرآن ، وصدق على سلفهم قوله تعالى « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق و به يعدلون » ثم خلف من بعد أولئك السلف خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم ، حتى صارت جميع الأمم تضرب المثل بظلم حكامهم وسوء حالهم ، وتفخر عليهم بالعدل، بل صار الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه يلتمسون من تلك الامم القسط ، وما يهدي اليه من العلم

وقوله تعالى (شهداء لله) خبر بعد خبر اي كونوا شهداء لله والشهداء جمع شهيد بوزن « فعيل » والاصل في صيغة « فعيل » ان تدل على الصفات الراسخة كعليم وحكيم فهو على هذا أمر بالعناية بأمر الشهادة والرسوخ فيها ، وقد تقدم تفسير الشهادة في تفسير أواخر سورة البقرة فتراجع في الجزء الثاني من التفسير ، ومعنى كون الشهادة لله ان يتحرى فيها الحق الذي يرضاه ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لأحد (ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين) اي كونوا شهداء بالحق لوجه الله وامتثال امره واتباع شرعه ، الذي تنال به مرضاته ومثوبته ، ولو كانت الشهادة على انفسكم ، بأن يثبت بها الحق عليكم - ومن أقر على نفسه بحق فقد شهد عليها لان الشهادة اظهار الحق - او على والديكم واقرب الناس اليكم كأولادكم وأخوتكم ، فانه ليس من بر الوالدين ولا من صلة رحم الاقربين أن

يعانوا على ما ليس لهم بحق ، بالاعراض عن الشهادة عليهم ، اوليّها والتحريف فيها لاجلهم ، وانما البر والصلة في الحق والمعروف ، ـ والحق احق ان يتبع ـ والذين يتعاونون على الظلم وهضم حقوق الناس يعاون الناس على ظلمهم وهضم حقوقهم ، فتكون المحاباة في الشهادة من اسباب فشوّ الظلم والعدوان ، وذلك من المفاسد التي لا يأمن شرها احد من الناس ، فالمحاباة في الشهادة مفسدة ضررها عام وإن كانت لمصلحة يريد المحابي بها نفع أهله أو الشفقة على فقير او العصبية لغني ولذلك

قال عز وجل ﴿ ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾ أي ان يكن المشهود عليه من الاقربين او غيرهم غنيا او فقيرا فالله أولى بهما ، وشرعه أحق ان يتبع فيهما ، فلا تحابوا الغني طمعا في بره ، ولا خوفا من شره ، ولا الفقير عطفا عليه ورحمة به ، فرضاة الفقير ليست خيراً لكم ولا له من مرضاة الله تعالى ، ولا انتم ارحم بالفقير وأعلم بمصلحته من ربه عز وجل ، ولولا انه تعالى يعلم ان العدل وإقامة الشهادة بالحق ، هي خير للشاهد والمشهود عليه ، سواء كان غنيا أو فقيرا لما شرع الله ذلك وأوجبه ، وروى ابن جرير عن السدي في الآية قال نزلت في النبي (ص) اختصم اليه رجلان غني وفقير فكان حلفه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير اه اي كان ميله القلبي موجها الى الفقير لظنه أنه لا يتصدى لظلم الغني ، وهو وان ظن ذلك لا يحكم الا بالحق الذي تظهره البينة والحجة سواء أنزلت الآية في ذلك ام لا ، وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في هذه الآية انه قال — ونعم ماقال — : هذا في الشهادة فأقم الشهادة يا ابن آدم ولو على نفسك أو الوالدين أو الاقربين أو على ذي قرابتك واشراف قومك ، فانما الشهادة لله وليست للناس ، وان الله رضي بالعدل لنفسه والاقساط . والعدل ميزان الله في الارض ، به يردّ الله من الشديد على الضعيف ، ومن الصادق على الكاذب ، ومن المبطل على المحق ، و بالعدل يصدق الصادق ويكذب الكاذب ويردّ المعتدي ويوبخه تعالى ربنا وتبارك ، و بالعدل يصلح الناس ، يا ابن آدم : ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، يقول الله أنا أولى بغنيكم

وفقيركم. ولا يمنعك غنى غني ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم فان ذلك من الحق . اه

قال تعالى ﴿ فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ﴾ اي فلا تتبعوا الهوى وميل النفس الى أحد ممن كلفتم العدل فيهم ، او الشهادة لهم او عليهم ، كراهة أن تعدلوا ، بل آثروا العدل على الهوى ، فبذلك يستقيم الامر في الورى ، اولا تتبعوا الهوى لئلا تعدلوا عن الحق الى الباطل فالهوى مزلة الاقدام ﴿ وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ كتبت « تلووا » في المصحف الإمام بواو واحدة لتحتمل القراءتين المتواترتين وهي قراءة الكوفيين « تلوا » بضم اللام وإسكان الواو من الولاية وقراءة الباقين بسكون اللام وضم الواو من اللي والمعنى على الاول : وان تلوا أمر الشهادة وتؤدوها ، أو تعرضوا عن تأديتها وتكتموها ، فان الله كان خبيرا بعملكم لا يخفى عليه قصدكم ونيتكم فيه ، وعلى الثاني وان تلووا ألسنتكم بالشهادة وتحرفوها ، أو تعرضوا عنها فلا تؤدوها ، فان الله كان بعملكم هذا خبيرا فيجازيكم عليه . وقد ذكرهم هنا بكونه خبيرا ولم يقل عليما لان الخبرة هي العلم بدقائق الامور وخفاياها ، فهي التي تناسب هذا المقام الذي تختلف فيه النيات ، ويكثر فيه الغش والاحتيال ، حتى أن الانسان ليغش نفسه ويلتمس لها العذر في كتمان الشهادة او التحريف فيها ، فهل يتدبر المسلمون الآية كما أمرهم الله بتدبر القرآن فيقيموا العدل والشهادة بالحق ، أم يعملون برأي أهل الحيل الذين يزعمون ان الله كلفهم اتباعهم دون اتباع كتابه والاهتداء به ؟ ؟

﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ روى الثعلبي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين اذ أتوا رسول الله (ص) فقالوا : يارسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه (أي سوى ما ذكر) من الكتب والرسل ، فقال « بل آمنوا بالله ورسوله

محمد وكتابه القرآن و بكل كتاب كان قبله ، فقالوا لانفعل ، فنزلت قال فآمنوا كلهم (وهم من اليهود) وروي عن الضحاك ايضا أنها نزلت في أهل الكتاب ، وجمهور المفسرين على ان الخطاب فيها للمؤمنين كافة أمرهم الله ان يجمعوا بين الايمان به وبرسوله الاعظم خاتم النبيين والقرآن الذي نزله عليه وبين الايمان بجنس الكتب التي نزلها على رسله من قبل بعثة خاتم النبيين بأن يعلموا ان الله قد بعث قبله رسلا ، وانزل عليهم كتبا ، وانه لم يترك عباده في الزمن الماضي سدى ، محرومين من البينات والهدى ، ولا يقتضي ذلك ان يعرفوا أعيان تلك الكتب ولا ان تكون موجودة ، ولا أن يكون الموجود منها صحيحا غير محرف ، وإذا كان المتبادر من الآية هو الامر بالجمع بين الايمان بالنبي الخاتم والكتاب الآخر ، وبين ماقبله ـ كما قلنا ـ فلا حاجة الى جعل « آمنوا » بمعنى اثبتوا وداوموا على الايمان بذلك كما قالوا ، فليس المقام مقام الامر بالمواظبة والمداومة ، سواء أصح ماورد في سبب النزول أم لا

ولما أمر بالايمان بكل ماذكر توعد على الكفر بأي شيء منه فقال ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ فالايمان بالله هو الركن الاول والايمان بجنس الملائكة الذين يحملون الوحي الى الرسل هو الركن الثاني ، والايمان بجنس الكتب التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث ، والايمان بجنس الرسل الذين بلغتهم الملائكة تلك الكتب فبلغوها الناس ـ هو الركن الرابع ، والايمان باليوم الآخر ـ الذي يجزى فيه المكلفون على عملهم بتلك الكتب مع الايمان بما ذكر كل بحسب كتابه الا ان ينسخ بما بعده هو الركن الخامس ، ومن فرق بين كتب الله ورسله فآمن ببعض وكفر ببعض كاليهود والنصارى لايعتد بايمانه لانه متبع للهوى فيه أو للتقليد الذي هو عين الجهل ، وقد وصف الله خاتم رسله وأمته التي هي خير الامم بقوله « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله » ولولا التقليد الذي هو جهل وعمى ، أو التعصب واتباع الهوى ، لما كان

يعقل أن يفهم أحد معنى النبوة والرسالة ويؤمن بموسى أو عيسى عن علم و بصيرة بذلك ثم يكفر بمحمد صلى الله عليه وعليهما وسلم ، فان سر الرسالة هو الهداية ولم يكن موسى ولا عيسى أهدى من محمد عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين ،فمن يكفر بالله أو بملائكته أو ببعض كتبه أو رسله أو اليوم الآخر فقد ضل عن صراط الحق الصحيح الذي ينجي صاحبه في الآخرة من العذاب الاليم ، ويمتعه بالنعيم المقيم ، لانه اذا كفر ببعض تلك الاركان بجحود أصله وانكاره ألبتة كانت حياته في هذه الدنيا حيوانية محضة ، لايزكي نفسه ولا يعد روحه للحياة الباقية الابدية، وان كفر ببعض الكتب والرسل كان كفره بها دليلا على انه لم يؤمن بشيء منها إيمانا صحيحا مبنيا على فهم معناها والبصيرة بحكمتها كما بيناذلك آنفا ، وكل ذلك من الضلال البعيد من طريق الهداية وصحة السلامة ، وانما بعده عنها جهل صاحبه لوجودها ، ومن جهل وجود الشيء لايطلبه بالبحث عن بيناته وطلب أعلامه وآياته ، واما من ضل عن الشيء وهو يؤمن بوجوده ، فانه يبحث عنه و يستدل عليه حتى يصل اليه ، فيكون ضلاله قريبا . ووصف الضلال بالبعيد من أبلغ الوصف وأعلاه . وقد وحد لفظ الكتاب في أول الآية ليناسب لفظ الرسل المفرد ، وجمعه في آخرها ليناسب جمع الرسل .

(١٣٦ : ١٣٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (١٣٧:١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٣٨:١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً (١٣٩:١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ، إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً

(١٤٠ : ١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ، وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً

بين الله لنا في هذه الآيات حال أناس من أصحاب الضلال البعيد ـ الذي ذكرفي الآية التي قبلهن ـ آمنوا في الظاهر نفاقا أو تقليدا وكان الكفر قد استحوذ على قلوبهم فلم يدع فيها استعدادا لفهم الايمان،فلذلك لم يعصمهم من الرجوع الى الكفر مرة بعد أخرى ، لانهم لم يعرفوا حقيقته ولا ذاقوا حلاوته ، ثم وعيد المنافقين كافة وبيان موالاتهم للكافرين وما بينهم من التناسب الذي يقتضي اشتراكهم في الوعيدوتحذير المؤمنين منهم فقال (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) ذلك بأنه قد تبين من ذبذبتهم بين الايمان والكفر انه قد طبع على قلوبهم حتى فقدوا الاستعداد لفهم حقيقة الايمان وحقيته ومزاياه ، فهم بحسب سنة الله في خلقه لا يرجى لهم أن يهتدوا الى سبيل من سبله ، ولا أن يغفر لهم ما دنس أرواحهم من ذنوبه ، وانما قلنا إن الآية مبينة لسنة الله تعالى في أمثالهم لان أرحم الراحمين واسع المغفرة لم يكن ليحرم أحدا من عباده المغفرة والهداية بمحض الخلق والمشيئة ، وانما مشيئته مقترنة بحكمته وقد قضت حكمته الازلية بان يكون كسب البشر لعلومهم واعمالهم مؤثرا في نفوسهم ، فمن طال عليه أمد التقليد ، حجب عقله عن نور الدليل ، حتى لا يجد اليه من سبيل ، ومن طال عليه عهد الفسوق والعصيان ، حجب عن أسباب الغفران ، وهي التي بينها تعالى في قوله « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » وقوله حكاية لدعاء الملائكة واستغفارهم للمؤمنين « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » وغير ذلك من الآيات . وقد بينا مرارا أن المغفرة عبارة عن محو أثر الذنب من النفس بتأثير التوبة

والعمل الصالح الذي يضاد أثره أثر ذلك الذنب وهو الذي يدل عليه قوله تعالى « إن الحسنات يذهبن السيئات » والقرآن يفسر بعضه بعضا . ولا تدل الآية على أن هؤلاء اذا آمنوا ايمانا صحيحا لا يقبل منهم بل يقبل قطعا ، وقد روي عن قتادة ان المراد بالآية أهل الكتاب ـ آمن اليهود بالتوراة ثم كفروا وآمن النصارى بالانجيل ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا بمحمد (ص) وعن ابن زيد ومجاهد انها نزلت في المنافقين ، والاول لا يظهر الا على قول بعضهم ان كفر اليهود الاول كان باتخاذهم العجل وعبادته والثاني كفرهم بالمسيح والثالث الذي ازدادوا به كفرا هو كفرهم بمحمد (ص) على ان كثيرا من اليهود قد آمنوا . وأما القول الثاني فهو يظهر فيمن جهروا بالكفر من المنافقين كما يظهر فيمن يدخلون في الاسلام تقليداً لبعض من يثقون بهم ثم يرجعون الى الكفر لمثل ذلك لانهم لم يفهموا حقيقة الايمان والاسلام وهكذا فعلوا مرة بعد أخرى ثم رأوا أن الكفر ألصق بنفوسهم لطول أنسهم به وانهماكهم فيه ، (بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما) الغالب في استعمال البشارة أن تكون في الاخبار بما يسر فهي اذاً مأخوذة من انبساط بشرة الوجه كما أن السرور مأخوذ من انبساط أساريره ، وعلى هذا يقولون إن استعمالها فيما يسوء ـ كما هنا ـ يكون من باب التهكم ، وقيل إن البشارة تستعمل فيما يسر وفيما يسوء استعمالا حقيقيا لان أصلها الاخبار بما يظهر اثره في بشرة الوجه في الانبساط والتمدد ، أو الانقباض والتغضن ، والالم الشديد الالم .

ثم وصف هؤلاء المبشرين بقوله (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي الذين يتخذون الكافرين المعادين المؤمنين أولياء وانصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وتاركيها الى ولايتهم وموالاتهم عليهم لاعتقادهم ان الدولة ستكون لهم فيجعلون لهم يداً عندهم (أيبتغون عندهم العزة) استفهام تقريع وتوبيخ . ان كانوا يبتغون عندهم العزة وهي المنعة والغلبة ورفعة القدر (فان العزة لله جميعا) فهو يؤتيها من يشاء فكان عليهم ان يطلبوها منه بصدق الايمان والسير

على سنته تعالى واتباع هداية وحيه الذي يرشدهم الى طرقها ، و يبين أسبابها ، وقد آتاها الله نبيه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه ، وسيرهم على سنته ، ولما اعرض المسلمون عن هذه الهداية التي اعتز بها سلفهم ذلوا وساءت حالهم وصار فيهم منافقون يوالون الكفار دونهم يبتغون عندهم العزة والشرف وما هم لها بمدركين ، فعسى الله ان يوفق المسلمين الى الرجوع الى تلك الهداية فيعودوا الى حظيرة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ قالوا الخطاب عام لجميع من كان يظهر الايمان من صادق ومنافق . والذي نزله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى في سورة الانعام التي نزلت قبل هذه السورة - لأنها مكية وهذه السورة مدنية - «واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » نزلت هذه في مشركي مكة اذ كانوا يخوضون في الكفر وذم الاسلام والاستهزاء بالقرآن، وكان بعض المسلمين يجلسون معهم في هذه الحال ولا يستطيعون الانكار عليهم لضعفهم وقوة المشركين ، فأمروا بالاعراض عنهم ، وعدم الجلوس اليهم في هذه الحال . ثم ان يهود المدينة كانوا يفعلون فعل مشركي مكة وكان المنافقون يجلسون معهم و يستمعون لهم فنهى الله المؤمنين على الاطلاق عن ذلك . ومجموع الآيتين يدل على أن بعض ما كان يخاطب به النبي (ص) يراد به أمته ومعنى « سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها» سمعتم الكلام الذي موضوعه جعل الآيات في موضع السخرية والاستهزاء الذي يراد به التحقير والتنفير، بمجرد السفه وقول الزور،

ويدخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع كما روي عن ابن عباس قال في « فتح البيان في مقاصد القرآن» : و في هذه الآية باعتبار عموم لفظها دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع كثيرا من اسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة ، ولم يبق في أيديهم سوى: قال امام مذهبنا كذا

وقال فلان من اتباعه بكذا . واذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه ولم يرفعوا الى ما قاله رأساً ، ولا بالوا به بالة ، وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع ، وخطب شنيع ، وخالف مذهب إمامه الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع- بالغوا في ذلك حتى جعلوا رأيه القائل، واجتهاده الذي هو عن منهج الحق مائل ، مقدما على الله وعلى كتابه وعلى رسوله ، فإنا لله وانا اليه راجعون ، ما صنعت هذه المذاهب بأهلها والائمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة اليهم برآء من فعلهم ، فانهم قد صرحوا في مؤلفاتهم بالنهي عن تقليدهم ، كما أوضح الشوكاني ذلك في « القول المفيد » و« أدب الطلب » اه وياليت هؤلاء الذين جعلوا كلام شيوخهم أصلا للدين والكتاب والسنة فرعين أو مهملين يتبعون الائمة الذين يدعون الانتساب اليهم وهم لا يعرفون هديهم ولا يتبعونهم ، وانما يتبع كل أهل عصر شيوخهم على جهلهم

﴿ انكم اذا مثلهم ﴾ هذا تعليل للنهي اي انكم إن قعدتم معهم تكونون مثلهم وشركاء لهم في كفرهم ، لانكم أقررتموهم عليه ورضيتموه لهم ، ولا يجتمع الايمان بالشيء واقرار الكفر والاستهزاء به . ويؤخذ من الآية ان اقرار الكفر بالاختيار كفر ، ويؤخذ منه ان اقرار المنكر والسكوت عليه منكر ، وهذا منصوص عليه أيضا . وإن إنكار الشيء يمنع فشوه بين من ينكرونه حتما ، فليعتبر بهذا أهل هذا الزمان ، وليتأملوا كيف يمكن الجمع بين الكفر والايمان ، او بين الطاعة والعصيان ، فان كثيراً من الملحدين في البلاد المتفرنجة يخوضون في آيات الله ويستهزؤون بالدين ، ويقرهم على ذلك ويسكت لهم من لم يصل الى درجة كفرهم ، لضعف الايمان والعياذ بالله تعالى

﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ هذا وعيد للفريقين المستهزئين من الكفار ولقريهم من المنافقين بأنهم سيجتمعون في العقاب كما اجتمعوا على الاثم وكذا غيرهم من الفريقين

﴿ الذين يتربصون بكم ﴾ اي الذين ينتظرون بكم أيها المؤمنون ما يحدث

من كسر أو نصر ، أو خير أو شر ، وهذا وصف المنافقين كقوله في الآية السابقة « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » { فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم } هذا تفصيل للتربص أي فان نصركم الله وفتح عليكم ادعوا انهم كانوا معكم وانهم منكم، يستحقون مشاركتكم في نعمتكم ، { وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين } اي وان كان للكافرين نصيب من الظفر — لان الحرب سجال — متّوا إليهم ومنّوا عليهم ، بأنهم كانوا عونا لهم على المؤمنين بتخذيلهم ، والتواني في الحرب معهم — والاستحواذ يفسرونه بالاستيلاء وهو في الاصل من الحوذ وهوالسوق سمي حوذاً لأن الحوذي (السائق) يضرب حاذي البعير أو غيره من الدواب ، والحاذيان هما جانبا الفخذين من الوراء ، والحاذ الظهر ويطلق على جانبيه حاذيين ، وهذا الضرب من السوق يستولي به الحوذي على ما يسوقه فصاروا يطلقون الاستحواذ على الاستيلاء على الشيء والتمكن من تسخيره أو التصرف فيه — فهم يقولون للكفار انا قد استولينا عليكم ، وتمكنا من الايقاع بكم ، ولم نفعل بل منعناكم اي جمعناكم وحفظناكم من المؤمنين . والنكتة في التعبير عن ظفر المؤمنين بالفتح وأنه من الله ، وعن ظفر الكافرين بالنصيب — هي إفادة أن العاقبة في القتال للمؤمنين ، فهم الذين يكون لهم الفتح والاستيلاء على الامم الكافرة ولكن الحرب سجال قد يقع في أثنائها نصيب من الظفر للكافرين لا ينتهي الى ان يكون فتحا يستولون به على المؤمنين، وذلك ان الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر في مثل قوله « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » المقيد بقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم » وإنما نصر الله أن يقصد بالحرب حماية الحق وتأييده واعلاء كلمته ابتغاء مرضاة الله ومثوبته ، وآيته مراعاة سنن الله في أخذ أهبته ، وإعداد عدته ، التي ارشد اليها كتابه العزيز في مثل قوله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وقوله « اذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وقد بينا غير مرة كون الاعان

نفسه من اسباب النصر ، وأنه يقتضي الاستعداد وأخذ الحذر ، وانما غلب المسلمون في هذه القرون الاخيرة وفتح الكفار بلادهم التي فتحوها من قبل بقوة الايمان ، وما يقتضيه من الاعمال ، لانهم ما عادوا يقاتلون لا علاء كلمة الله وتأييد الحق ونشر الاسلام ، ولا عادوا يعدون ما استطاعوا من قوة كما أمرهم القرآن ، فهم يستطيعون ان ينشئوا البوارج المدرعة ، والمدافع المدمرة ، ويتعلموا ما يلزم لها وللحرب من العلوم الرياضية والطبيعية والميكانيكية ، وهي فرض عليهم ، بمقتضى قواعد دينهم ، لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وقد تركوا كل ذلك بل صار أدعياء العلم فيهم ، يحرمون ذلك عليهم ،

﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ اي يحكم بين المؤمنين الصادقين والمنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فهنالك لا تروج دعواهم التي يدعونها

عند النصر والفتح انهم معكم ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ اي ان الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيلا ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون يقومون بحقوق الايمان ويتبعون هديه ، وكلمة « سبيل » هنا نكرة في سياق النفي تفيد العموم وقد أخطأ من خصها بالحجة، وسبب هذا التخصيص عدم فهم ما قررناه آنفا من كون النصر مضمونا بوعد الله وسنته للمؤمنين بشرطه الذي اشرنا اليه . وقال بعضهم ان هذا خاص بالآخرة . والصواب انه عام فلا سبيل للكافرين على المؤمنين مطلقا وما غلب الكافرون المسلمين في الحروب والسياسة واسبابها العلمية والعملية من حيث هم كافرون بل من حيث أنهم صاروا أعلم بسنن الله في خلقه واحكم عملا بها والمسلمون تركوا ذلك كما علمت ، فليعتبر بذلك المعتبرون !

بشائر عيسى ومحمد(*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٤

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في التوراة والانجيل »

التوارة كلمة عبرية معناها الشريعة وتطلق في الأصل على كل ماأوحاه الله تعالى الى موسى عليه السلام ليبلغه الناس من مواعظ وقصص وشرائع وغير ذلك وسميت كل هذه الاشياء بالتوراة لان أعظم شيء فيها هو (الشريعة)

ويرى الناظر في كتب العهد القديم أن موسى عليه السلام اعتنى بشريعته اعتناءً كليا وجزئيا حتى أنه أعاد تبليغ هذه الشريعة لبني اسرائيل بعد أن بلغها لهم المرة الاولى وكتبها لهم بنفسه وسلمها لهم مكتوبة هي والوصايا العشر التي كانت مكتوبة بقلم القدرة الالهية على لوحين من الحجر وأمرهم بحفظها وشدد عليهم في ذلك تشديداً عظيما والشريعة الموصوفة هذه مع الوصايا العشر توجد ملخصة في كتاب على حدته يسمى الآن (سفر التثنية) لان موسى أعادها فيه كما قلنا بعد أن كان بلغها لهم من قبل وهذا السفر يسمى في العهد القديم سفر التوراة وسفر الشريعة (تث ٣٠ : ١٠ و ٣١ : ٩ و ١٠ و ١٢ و ٢٤ ونحميا ص ٧ : ٨ و ٩ : ١٣ و ٢ أي ٢٥ : ٤) ولا يوجد عند أهل الكتاب دليل على أن موسى كتب الاسفار الاخرى المنسوبة اليه غير سفر التثنية

وهذا السفر حافظت عليه الامة اليهودية محافظة شديدة (إلا في أوقات إرتدادها وكثيرة هي) لانه كان مرجع جميع الانبياء من عهد موسى عليه السلام

*) تابع لما نشر في الجزء الخامس ص ٤٢٧ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

الى عيسى عليه السلام ومن راجع هذا السفر ظهر له أنه لم يدخله شيء يذكر مما دخل غيره من الفساد الكبير نعم قد زيد عليه الاصحاح الاخير منه المتعلق بموت موسى عليه السلام وغلط في عده الارنب الجبلي من الحيوانات المجترة (١٤: ٧) وربما زيد عليه بعض كلمات قليلة في أوله وما عدا ذلك يمكننا أن نقول إن جل ما جاء فيه هو من التوراة الحقيقية (أو هو ملخص الشريعة الموسوية) التي أوحاها الله تعالى الى موسى وهذا السفر هو الذي كان معروفا بين بني اسرائيل (باسم التوراة) و (سفر الشريعة) كما يظهر من باقي كتب العهد العتيق ويعرف أيضا في العهد الجديد بالناموس (١)(متى ٢٢ : ٤٠)

أما باقي الكتب المنسوبة الى موسى عليه السلام فلم تسم (بالتوراة) ولا (بسفر الشريعة) بين اليهود الاقدمين كما هو ظاهر من كتب العهد القديم والغالب أنها ما كانت كثيرة التداول بينهم قبل أسر بابل ولا كانت معروفة لجميع الناس اللهم الا الشرائع التي تتضمنها هذه الكتب فالظاهر ان فهمها قليل جدا كالكلام على اجترار الارنب الجبلي مع أنه لا يجتر (تث ١٤ : ٧ ولا ١١ :٦) ومثل شريعة برص الثياب (لا ١٣ ٤٧ ـ ٥١) وبرص البيوت (لا ١٤ : ٣٣ الى ٥٥) فانها كلها شريعة لا فائدة منها ولا يفهم أحد لها معنى للآن

ولا ننكر أن موسى عليه السلام بلغهم كثيرا من القصص التي في تلك الكتب ولكنه لم يكتبها لهم فهي بمنزلة الاحاديث عندنا ويجوز أن يكون بعض الناس كتب

(١) حاشية : (الناموس) كلة يونانية معناها أيضاً (الشريعة) وكانت في الاصل عند اليهود الاقدمين تطلق خاصة على سفر الشريعة أو التوراة (وهو المسمى الآن بالتثنية) ولكن توسع فيها اليهود المعاصرون للمسيح والذين بعده وصاروا يطلقونها أيضا على أي كتاب من كتب العهد القديم ولو كان خاليا من الشريعة كالمزامير (راجع انجيل يوحنا ١٢ : ٣٤) ومن ذلك نشأ عند أهل الكتاب من العرب اطلاق لفظ (التوراة) على كتب العهد القديم كلها سواء كانت لموسى أو لغيره وعليه فيحور في بعض المواضع من القرآن أن يذكر لفظ التوراة بهذا الاصطلاح ويريد بها كتاباً آخر من كتب أنبياء بني اسرائيل فاذا قال القرآن الشريف ان كذا وكذا موجود في توراة ولم نجده في (سفر التثنية) كان ذلك مما فقد من كتب موسى كما سيأتي أو كان موجودا في كتاب آخر من كتب أنبياء بني اسرائيل الموجودة الآن أو المفقودة فتنبه لذلك تسلم من الخلط والخبط

شيئا منها في زمنه عليه السلام كما كتب بعض الاحاديث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهى عن كتابتها . وكثير مما في هذه الكتب من التوريخ قد حضره بنو اسرائيل بأنفسهم وعلموه فهو لا يحتاج لتبليغ موسى بل تناقله اليهود بينهم بالروايات الشفوية أو بكتابة بعضه كما قلنا فدخله كثير من التحريف والتبديل والنقص والزيادة

وقبل سبي بابل لم تجتمع هذه الكتب على هيئتها الحاضرة كما جزم بذلك علماؤهم (راجع قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٥٥٩) ولا يعرف باليقين من كتب الاسفار الاخرى غير سفر التثنية والظاهر أنها كتبت في أوقات مختلفة وتم وجودها بين اليهود قبل سنة ٧٢٠ ق . م أي قبل وجود السامريين وكانت جمعت من الروايات الشفوية ومن بعض المحفوظات القديمة المكتوبة فهي ككتب السير والتواريخ عند المسلمين وليست متواترة عند اليهود بخلاف سفر الشريعة (التوراة) الذي كانت الأنبياء تقيم أحكامه من عهد موسى إلى عيسى عليهما السلام (انظر متى ٥ : ١٧ و ١٨)

وقد استدل كثير من العلماء بوجود بعض عبارات من حوادث متأخرة ومن وجود بعض أسماء لم تكن معروفة في زمن موسى بل حدثت بعده - أنه عليه السلام لم يكتب كل هذه الأسفار المنسوبة إليه (راجع كتاب اظهار الحق تجد من ذلك كثيرا وكتابنا الدين في نظر العقل الصحيح فقد ذكرنا فيه بعض هذه الشواهد) قال الدكتور بوست في قاموسه صفحة ٤٣٢ مجلد أول (أنه من المؤكد أن موسى عليه السلام لم يكن يعرف دان (تك ١٤ : ١٤) ولا حبرون (٣٧ : ١٤) (بهذين الاسمين) إذ هما من الاسماء التي استجدت بعده ووجودهما في هذه الاسفار مما يدل على أن واحداً غيره كتبها بعد وفاته أو غيّرهما فيها

ونحن نستدل أيضاً من ذكر لفظ (الله) فيها بالجمع (تك ١ : ١)* وذكر

(*) حاشية : اعلم أن النصارى تتخذ مثل هذه العبارة (وهي ذكر الله بلفظ الجمع في العبرية) اشارة الى التثليث مع أنهم يقرون في بعض المواضع الاخرى أن كتابهم المقدس قد يستعمل الجمع بدل المفرد لاجل التعظيم والتفخيم كما هو معروف في كثير من اللغات الاخرى . مثال ذلك أن المرأة التي كانت تستحضر الارواح قالت لشاول لما رأت روح صموئيل (رأيت آلهة

مصارعة الله ليعقوب (تك ٣٢ : ٢٤ — ٢٩) وقصة زنا لوط (* بابنتيه وشربه

= يصعدون من الارض تريد روح صموئيل فلما ابانها شاول ما هي صورته لأنه يعلم أنها تريد بالجم هنا المفرد لتعظيم صموئيل كما كان معهودا عندهم قديما سمته (بالآلهة) راجع سفر صموئيل الاول (٢٨ : ١٣ و ١٤) ومثل ذلك قول القرآن في سورة يونس (على خوف من فرعون وملائهم) بدل ملائه

فكذلك عبارة سفر التكوين هذه (١ : ١) وغيرها ان لم يكن المراد بالجمع فيها التعظيم لكانت اشراكا بالله تعالى وهو ما تنزه الديانة الموسوية عنه لمخالفته سائر نصوصها الصريحة في التوحيد والتنزيه

*) حاشية ـ يكثر في كتب اليهود والنصارى أمثال هذه الحكايات التي تخجل السيدات والعذارى ولا يليق أن تنشر بين الناس. فلا أدري ما الحكمة من الاكثار من ذكر مثل القصص الآتية :ـ

(١) سكر نوح وانكشاف عورته (تك ٩ : ٢٠ ـ ٢٧)

(٢) سكر لوط وزناه بابنتيه

(٣) خداع أمنون بن داود لأخته العذراء وافتضاضه لها (٢صمو ١٣) والذي دبر له هذه الخدعة يوناداب ابن عمه وسماه الكتاب المقدس (رجلا حكيما جدا) لانه دبر له هذه الحيلة الدنيئة (٢صمو ١٣ : ٣) ولما قتل أمنون هذا حزن عليه داود وبكاه بكاء مرا طول حياته مع أنه فسق بابنته (٢ صمو ١٣ : ٣٦ و ٣٧)

(٤) زنا داود بامرأة اوريا وتعريضه زوجها للقتل في الحرب بكتاب أرسله مع أوريا نفسه مع أنه كان جاراً له (٢ صمو ١١)

(٥) احضارهم الى داود في آخر أيامه فتاة جميلة جداً عذراء (وهو تعبير كثير الورود في الكتاب المقدس) لتحتضنه وتضطجع معه ليدفأ (١ملو ١ : ١ ـ ٤)

(٦) دخول أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع اسرائيل (٢صمو ١٦ : ٢٢)

(٧) زنا يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه فأتت بفارص أحد أجداد المسيح (تكوين ٣٨ ومتى ١ : ٣)

فهذا قليل من كثير مما ورد في هذه الكتب المقدسة من الحكايات التي نشرها لا ترتضيه الآداب وتنفر منه الفضيلة وتشمئز منه أصحاب النفوس العالية ولو ورد أمثالها في جريدة من الجرائد السيارة لنبذها الناس نبذ النواة

فما الفائدة من الاطناب والاكثار من حوادث السكر والزنا وفسق الانسان ببناته وأخته وامرأة جاره ونساء أبيه وامرأة ابنه في كتب مقدسة جاءت لتشر =

الخ وسردها بطريقة لا تشعر بشناعتها وبشاعتها (تك ١٩ : ٣٠ — ٣٨) وبـ

= الآداب والفضائل بين الناس مع أن أمثال هذه الحكايات يسهل على الاشرار ارتكاب مثلها ـ بعد أن كانوا يظنون أن جرائمهم شاذة لم يسبقهم اليها أحد وأنهم بأنهم صاروا عاراً على المجتمع الانساني ـ فكيف بهم اذا وجدوا في كتبهم المقدسة أن أنبياءهم وهم قدوة الناس وأولاد أنبيائهم أتوا بما هو أشنع مما اقترفوا ؟ وقد غفر الله تعالى لأكثرهم ما فعلوا ! !

ومع ورود هذه القصص في الكتب المقدسة نرى النصارى يطعنون في الآداب الاسلامية ويفضلون المسيحية عليها ويعيبون القرآن ويشنعون عليه لذكره بعض أشياء قليلة ـ بكل أدب ونزاهة وكمال ـ تتعلق بنساء النبي في سورة أو سورتين مع أن هذه الاشياء فضلا عن كونها تمثل الفضيلة تعلم الناس شيئاً من أخلاق النساء وطباعهن وكيف تكون معاملاتهن وتأديبهن باللطف واللين والصبر عليهن أو انذارهن انذاراً بسيطاً وترشد النساء عامة الى أنهن مسؤولات وحدهن عن أعمالهن أمام الله تعالى ولا ينجيهن من الحساب نسبتهن لأزواجهن مهما كانوا عظاما وكباراً

ومن العجيب أنك ترى النصارى يعيبون القرآن لايراد بعض هذه الاشياء القليلة جداً المتعلقة بنساء النبي والتي يراد بها تعليم الامة وإرشادها ولا يعيبون رسائل بولس لورود أشياء فيها شخصية خصوصية لا فائدة منها لأي فرد من أفراد البشر مع زعمهم أن هذه الرسائل ليست خصوصية بل هي مكتوبة بالوحي والالهام لمنفعة جميع الامم . فما فائدة العالم من ذكر الاشياء الآتية فيها ؟ ولم لم تذكر في رسائل أخرى خصوصية ؟ جاء في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ما يأتي ٤ : ١٣ (الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس احضره متى جئت والكتب أيضاً ولاسيما الرقوق ١٩ (سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسفورس ٢٠ أراستس بقي في كورنثوس وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً ٢١ بادر أن تجيء قبل الشتاء) الخ الخ وفي رسالته إلى فليمون : ٢٢ (ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلا) فهذه بعض أمثلة جاءت في كتبهم التي يقولون أنها لا تتكلم الا في المسائل الهامة العامة والتي (كما يقول صاحب كتاب الهداية) يتعبدون بها في صلواتهم ويرتلونها في كنائسهم . أما عناية القرآن بالمرأة وهي الجنس الضعيف المظلوم وكثرة نزول آيات في أمورها وأحوالها وكيفية معاملتها وحفظ حقوقها الخ فهو عند النصارى منتقد ولا يليق ذكره =

الله تعالى على خلقه الانسان وحزنه لذلك (تك ٦ : ٦) وقصة الحية وأكلها التراب

= راجع مثلا سورة التحريم وهي السورة التي يكثر انتقاد النصارى عليها تجد أنها عامة لا خاصة وتعلم الامة الادب والكمال واللطف واللين في معاملة النساء والصبر على أعمالهن وتخويفهن بالحسنى وزجرهن على إفشاء سر أزواجهن ثم بث النصح لهن وأمرهن بالتوبة والتقوى وضرب الامثال الصالحة لهن الى غير ذلك مما تجده مبسوطاً في تفسير (نظام القرآن) المطبوع بالهند ومنه يتبين نفع هذه السورة لسائر البشر

ثم قارن هذه السورة وسائر القرآن الشريف بكتبهم المقدسة وما ذكر فيها من الحكايات في السكر والفسق والقتل واهلاك الحرث والنسل يتبين لك الفرق بين آداب القرآن وآدابهم وأن مبشريهم ودعاتهم متعصبون عليه متحاملون أوجاهلون وانهم كما قال سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام ينظرون القذى الذي في عين اخوانهم ولا يفطنون للخشبة التي في أعينهم

يقولون إن الله المسلمين ليس الله قداسة وطهارة لأنه رضي لمحمد تعدد الزوجات ولا ندري لماذا رضي لهم إلههم الطاهر القدوس ولأنبيائهم كل تلك الجرائم والجنايات ولم يخسف بهم الارض كما فعل بقوم لوط ؟ وكيف يتعبدون بمزامير داود وهم الذين قصوا علينا من أعماله ما قصوا وكيف محيت ذنوبه وغفرت له ولا يغفر لمحمد ما قد أباحته كتبهم وأتت أنبياؤهم بأضعاف أضعافه وقد بينا حكمة أعمال النبي هذه في كتابنا (الاسلام)

فان قالوا ان المسيح لم يفعل مثله قلت يوجد بين الانبياء مثل يوحنا (يحيى) وغيره كثيرون لم يبلغوا ما بلغه موسى وداود وسليمان ومحمد من الملك وسعة السلطان وطول العمر فلم يفعلوا ما فعلوا ؟ ولا ندري أن لو طال بهم الزمان وبلغوا ما بلغه هؤلاء من السلطان ماذا كانوا يعملون فالمقارنة يجب أن تكون بين مثلين متحدين في الاحوال والظروف لا بين مختلفين فيها والا كنا جائرين ظالمين

ولنذكر هنا شيئاً من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدعي النصارى ظلما وزوراً أنه كان شهوانياً

(١) أما أكله فقد كان يطوي الليالي وهو جائع ويشد الحجر على بطنه من ألم الجوع واذا أكل لا يشبع ولا يأكل الاصنافاً تافهة ولم يجمع بين أدمين في إناء واحد ولا أكل طعاماً ذا لونين وكان يصوم شهر رمضان من كل سنة وأياما من كل شهر =

(تك٣ : ١٤) والكلام على برص الثياب والبيوت (لا ١٤ : ٥٥) وغير ذلك

= (٢) وأما لبسه فقد كان يرقع ثوبه ويخصف نعله بيده ولا يلبس حريراً ولا ثوبا فاخراً وقد حرم على رجال أمته لبس الحرير

(٣) وأما مسكنه فقد كان في حجرات حقيرة

(٤) وأما نومه فقد كان ينام على الارض أو على أحقر الفراش ويبيت أكثر الليل قائماً يصلي كما أمره القرآن واذا نام قليلا منه اضطر الى اليقظة قبل طلوع الشمس لأداء فريضة الفجر ولا يخفي ما كان يتكبده من المشاق للتطهر قبل الصلاة كالاغتسال في ليالي الشتاء وكثرة الوضوء

(٥) وأما نهاره فيقضيه في الصلوات الخمس في أوقاتها مع النوافل وفي قضاء حاجاته وحاجات الناس والنظر في مصالحهم وتعليمهم الدين والقرآن ومحاربة الاعداء وغير ذلك

( ) وأما النساء فقد قضى شبابه مع عجوز واحدة ولم يتزوج غيرها إلى مابعد الخمسين ولم يكن بين نسائه بكر غير عائشة وكانت في سن لا تشتهي فيه ثم حرم عليه النساء بعد ذلك مطلقاً غير التسع وما كان يجوز له ان يبدلهن بغيرهن (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن)

(٧) وأما المال فكان طول حياته فقيراً يقترض المال من اليهود وما اكتنز شيئا لنفسه قط

فهل هذه حياة الشهوانيين ؟ وهل لمثل ذلك يتكبد دعوى النبوة وهو لم يحصل على شيء من ملاذ الحياة يقرب مما كان يحصل عليه منه بلا تعب ولا نصب وهو هادئ البال مستريح الفؤاد؟ لا تنس انغماس العرب في اللذات والشهوات اذ ذاك

وما الذي منعه عن الانغماس مثلهم فيها في بعد أن دانت الرقاب له وخضعت له البلاد وأتته الدنيا بحذيرها وهو لا يزداد إلا بعدا عنها فهل هذه حياة الشهوانيين؟ فما الذي منعه عن السكنى في القصور وعن التزين بالذهب والحرير وكنز القناطير المقنطرة من الاموال وملء بيته بألذ المأكولات وأطيبها وأشهاها وبالخدم والحشم والعبيد وبالعذارى الجميلات الصغيرات وقد كان له أن يحتذي من سبقه من الانبياء كداود وسليمان . ما الذي حمله على اضاعة جميع أوقاته في الـكد والتعب والنصب ليلا ونهاراً في الحروب وفي العبادات وفي ارشاد الناس وتربيتهم؟ وما الذي منعه عن أن =

نستدل بهذا أن موسى ما كتب هذه الكتب بل كتبها أناس مجهولون في أزمنة مختلفة . وما ذكرناه من سفر التكوين يدل على أن الذي كتبه رجل لم يقدر الله تعالى حق قدره ولا انبياءه وربما كان مشركا به أي من اليهود المرتدين الذين عبدوا الاصنام ولا مانع من أن اليهود حوروه بعد ذلك وتوسعوا فيه

فهذه الكتب الاربعة المنسوبة لموسى عليه السلام تشتمل على تاريخ اليهود منذ الخليقة الى زمن موسى وبعض رواياتها صحيح والبعض الاخر كذب أو خطأ فلذا لا نعول عليها

وكما نسبوا اليه هذه الكتب نسبوا إليه غيرها ومثل (كتاب المشاهدات وكتاب التكوين الصغير وكتاب المعراج وكتاب الاسرار وكتاب الاقرار) وكتاب التكوين الصغير هذا كان باللسان العبرى إلى المائة الرابعة بعد المسيح واستشهد به بعض النصارى الأولين وترجمته كانت موجودة إلى القرن السادس عشر ثم رفضوه ففقد . ويجوز ان هذه الكتب المذكورة هنا كانت تشتمل على بعض روايات صحيحة عن موسى عليه السلام . ومما فقد أيضا من الكتب المنسوبة لموسى عليه السلام كتاب يسمى (حروب الرب) ذكر اسمه في سفر العدد ٢١ : ١٤ ولا وجود له الآن . وكذلك ضاع كلامه عن البعث والنشور فلا يوجد في هذه الاسفار ذكر لهذه العقيدة الكبرى التي تضارع الايمان بالله ولا يعقل أن موسى لم يخبرهم بها صراحة

والخلاصة أن شريعة موسى عليه السلام (التوراة بالمعنى الاصلي) أو ملخصها موجودة مع شيء قليل جداً من الغلط كما بينا وتكاد تكون متواترة بين اليهود في

= بطنه ويقضي ليله في معانقة الغيد الحسان والكواعب الابكار بدل قيام الليل في عبادة الرحمن ؟ هل هذا شأن الشهوانيين ؟ اللهم لا ! وما الذي ناله المسيح عليه السلام من الحياة حتى يقارن بمحمد الذي كان كأعظم الملوك وأكبر القياصرة والسلاطين . فمن امتنع عن اللذات مع القدرة ليس كمن لم يجد منها شيئا فاتقوا الله أيها السبابون في خير نبي أخرج للناس

سفر التثنية لولا كثرة إرتدادهم وأما باقي الـكتب فهي تشتمل على روايات منها الصحيح ومنها الـكاذب ومنها الغلط

فتوراة موسى بالمعنى الاعم (أي كل ما أوحي إليه وبلغه الى الناس) لم تصل إلينا بل بعضها فقد وبعضها زيد فيه وبعضها تحرف فهي كالاحاديث عند المسلمين

وبعد سنة ٧٢١ ق . م أي بعد انقراض مملكة اسرائيل وجد السامريون وكانت الوثنية فاشية في آبائهم وفيهم وما كانوا يهتمون بالتوراة ولـكنهم بعد ذلك اتخذوا لهم نسخة من هذه الـكتب تشتمل على الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى وعلى سفري يشوع والقضاة وتختلف نسختهم عن نسخة اليهود العبرية في كثير من المواضع كأعمار القدماء وكجبلي جرزيم وعيبال ويوجد في السامرية وصية زيادة عن الوصايا العشر (١)

---

(١) في سفر التثنية أن الوصايا العشر كانت مكتوبة على لوحين كسرهما موسى حينما رأى قومه يعبدون العجل (تث ٩ : ١٧) والقرآن الشريف ذكر هذه الالواح بالجمع فالمراد بالجمع هنا ما زاد عن الواحد وهو معروف في اللغة العربية . وقوله تعالى (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لـكل شيء) معناها كل شيء من أصول الدين وأسسه التي يبنى عليها والوصايا العشر هي كذلك لانها تفصيل جميع أصول الدين الموسوي وقد قرب المسيح في وصيتين اثنتين فقط (متى ٢٢ : ٤٠) (بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء). وورد في القرآن في قصة ملكة سبأ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي من لوازم الملك في ذلك الزمن فهو مثل قوله (وتفصيلا لـكل شيء) ويجوز ايضا أن هذه الالواح المذكورة في القرآن الشريف كانت عديدة وكان منها لوحان فيهما الوصايا العشر المشهورة وكتبها الله تعالى بنفسه عليهما وكان لهما المقام الاول عندهم . وأما الالواح الاخرى فكانت تشتمل على الشريعة (التوراة) والذي كتبها هو موسى بعد ان سمعها من الله تعالى بامره (خر ٢٤ : ٤ و ٣٤ : ٢٧ و ٢٨) فكانت منزلة هذه الالواح اقل من منزلة اللوحين الاولين المشتملين على اصول الدين وأساس الشريعة فلذا اقتصرت كتب اليهود على ذكر هذين اللوحين العظيمين اللذين كتبهما الله تعالى لان كسرهما أمر كبير ولم تذكر الالواح التي كتبها موسى عند الـكلام على قصة العجل لان قيمتها اقل من قيمة لوحي العهد الربانيين ولا يخفى أن عدم ذكرها في هذه القصة لا يدل على عدم وجودها

وفي آخر حياة موسى عليه السلام نسخ من هذه الالواح الحجرية كتابا سلمه للاويين ليضعوه بجانب تابوت عهد الرب المشتمل على لوحي الشهادة (تث ٣١ : ٢٤ ــ ٢٦) وانما فعل موسى ذلك ليـكون حجم التوراة أصغر وحملها أيسر من حمل تلك الالواح الحجرية الثقيلة

وقول القرآن (وكتبنا له في الالواح) لا يستلزم أن الله تعالى هو الذي كتبها كلها بنفسه بل منها ما كتبه هو ومنها ما أملاه على موسى وأمره بكتابتها وكل عمل المدشصح نسبته للمولى تعالى

وفي سنة ٢٨٥ ق . م اجتمعت لجنة من اليهود بأمر بطليموس فيلادلفوس وترجموا ماعندهم من الكتب العبرية الى اللغة اليونانية وكان عددهم ٧٢ نفرا وسميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية أو اليونانية وكانت تشتمل على كثير من الكتب الابوكريفية (أي غير القانونية) وهذه الترجمة كانت مستعملة بين النصارى من عهد وجودهم الى القرن الخامس عشر وهي الآن مستعملة في الكنيسة الشرقية. وبينها وبين العبرية اختلافات كثيرة في كثير من العبارات والفقرات والالفاظ ومع ذلك لم يقتبس مؤلفو العهد الجديد إلا منها وكانت أيضا محترمة عند اليهود

أما هذه الكتب الابوكريفية (أي المكذوبة الموضوعة) بحسب اعتقاد البروتستنت فهي أربعة عشر (١) اسدراس الاول (٢) اسدراس الثاني (٣) طوبيت (٤) يهوديت (٥) بقية أصحاحات سفر استير غير الموجودة في العبراني والكلداني (٦) حكمة سليمان (٧) حكمة يشوع بن سيراخ (٨) باروخ (٩) نشيد الثلاثة الفتية المقدسين والأصحاح الثالث عشر والرابع عشر من سفر دانيال (١٠) تاريخ سوسنة (١١) تاريخ انقلاب بيل والتنين (١٢) صلاة منسى ملك يهوذا (١٣) مكابيين ١ و (١٤) مكابيين ٢ . وهذه الكتب موجودة في الترجمة السبعينية كما قلنا وفي الترجمة اللاتينية وفي التوراة الكاثوليكية الرومانية وكانت مسلمة عند جميع فرق النصارى قبل وجود البروتستنت ماعدا كتابي اسدراس وصلاة منسى ولا تزال كذلك الى اليوم عند الاورثوذكس والكاثوليك

وأما أبوكريفا العهد الجديد فتحتوي على كثير من الاناجيل والرسائل وعددها ٧٤ كتابا ولا يعتقد فيها النصارى الآن وكانت قديما منسوبة الى المسيح عليه السلام والى تلاميذه والى بولس فانظر كيف كان هؤلاء الناس يدسون الكتب الكثيرة بين كتب الله!

أما كلمة (الأنجيل) فهي يونانية ومعناها البشارة وسمي الوحي الى عيسى بذلك لانه جاء مبشرا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى عن لسانه (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) فعيسى عليه السلام بشر الناس بقرب مجيء خاتم النبيين لهم أكمل شريعة وأرقى دين لأرقى أطوار البشر وأنسب شريعة لطبيعة الانسان في كل زمان ومكان والتي ترفع ماوضع على الامم السابقة

من الاصر والاغلال وأجمع دين لمصالح الدنيا والآخرة وحاجات الروح والجسد فقال عليه السلام (يو ١٦ : ١٢ - ١٤ ان لي أمورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن ١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ١٤ ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم)

وكان عيسى عليه السلام وتلاميذه يبشرون دائما بمملكة محمد (ص) تلك المملكة المجيدة الجليلة التي زانها الحق وعبادة الله تعالى وحده فلذا سماها المسيح (ملكوت السموات)و (ملكوت الله) لانها مملكته تعالى في الارض وقانونها هو كتابه ورؤساؤها هم خلفاؤه (راجع انجيل متى ٣ : ٢ و ٤ : ١٧ و ٢٣ و ٦ : ١٠ و ١٣ : ٣١ و ٣٢ و ٢٠ : ١ - ١٦ و ٢١ : ٣٣ - ٤٤ ولوقا ١٠ : ٩ و ١١) وهم الصديقون الذين يرثون الارض ويسكنونها إلى الابد (مزمور ٣٧ : ٢٩) ويدخلون باب الرب (مز ١١٨ : ٢٠) ومملكتهم هي المملكة التي لا تنقرض أبدا كاقال دانيال (٢ : ٤٤) وتفنى مملكتي الفرس والرومان (راجع فصل البشائر)

فلذلك سمي الوحي إلى عيسى عليه السلام بالبشارة لان أعجب شيء فيه وأعظمه انما هو البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقرب مجيئه وهو الذي كانت تنتظره الامم من قديم الزمان وهو مشتهى كل الامم (حجي ٢ : ٧) الذي به ملىء بيت أورشليم مجدا وعمرانا وعادت إليه عبادة الله بدون شرك ولا تشبه وبمجيئه يعلم قرب مجيء يوم الدين يوم القصاص العادل بين عباد الله أجمعين وانصاف المظلومين ورحمة المتقين الصابرين وخلاص المؤمنين

هذا والانجيل لم يكتب في زمن عيسى عليه السلام . و بعدزمنه بقليل وجدت أناجيل عديدة (لوقا ١ : ١ - ٣) تشمل كثيرا من أقواله وأفعاله مع زيادة ونقصان وتحريف وتبديل وكذب فاختارت النصارى منها أربعة لا يعرف باليقين من كتبها ومتى كتبت وهي منسوبة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا واثنان من هؤلاء من الحواريين كما يقولون واثنان ليسا منهم وهم مرقس ولوقا وهذه الاناجيل مختلفة اختلافا عظيما ومشتملة على كثير من الخطأ والغلط والوهم وقد ذكرنا أمثلة

لذلك في كتابنا (الدين في نظر العقل الصحيح) واستقصى هذه المسألة كتاب اظهار الحق فليراجعه من شاء

وهذه الاناجيل الحالية كتب أصلها باللغة اليونانية عدا انجيل متى فانه كان بالعبرية كما اتفقت على ذلك شهادة جميع الآباء من النصارى الاقدمين ولكنه فقد وبقيت ترجمته اليونانية ولا يعرف من ترجمها ولا متى ترجمت . وقولهم : إن متى كتبه أيضا باليونانية ، لا يوجد عليه دليل عندهم وإنما هو ظن لا يوثق به ولم يقل بذلك أحد من قدمائهم

واعلم أنه لا يوجد عند أهل الكتاب نسخة عبرية من كتبهم قبل القرن العاشر وأهم ما عندهم من النسخ اليونانية القديمة ثلاث : ـ

(١) النسخة السينائية ويظنون أنها كتبت في القرن الرابع

(٢) والنسخة الفاتيكانيه ويقال إنها كتبت في القرن الرابع أيضا

(٣) والنسخة الاسكندرية ويظنون أنها كتبت في الخامس

ولا دليل لهم قاطعا على شيء من هذه الظنون واختلف علماؤهم في ذلك إختلافا كبيرا

أما السينائية فوجدت في دير في طورسيناء وتشتمل على كتب العهد الجديد وجزء من العهد القديم وهي توجد الآن في بطرسبورج

وأما الفاتيكانية فوجدت في مكتبة البابا بالفاتيكان برومة وفيها العهد القديم والجديد ولا تزال برومة

وأما الثالثة فوجدت في الاسكندرية وتشتمل على العهدين مع كتب أخرى غير قانونية وتوجد الآن في لندن

ولما قابلوا الكتب التي في أيديهم على هذه النسخ القديمة وجدوا بينها ألوف من الاختلافات بالزيادة والنقص والتبديل وهم يقولون إنها اختلافات طفيفة وليست جوهرية ولكنا نورد هنا شيئا من هذه الاختلافات التي نقول إنها هامة : ـ

(١) ما في مرقس ١٦ : ٩ ـ ٢٠ وهذه العبارات تتضمن ظهور المسيح بعد قيامته

لتلاميذه ودعوة العالم كله للنصرانية وغير ذلك . وهي غير موجودة في النسخة السينائية ولا في الفاتيكانية وعليها علامات الريب في نسخ أخرى قديمة وأنكرها في القرن الرابع كل من أوسابيوس وايرونيموس

(٢) ما في يوحنا ٧: ٥٣ ـ ٨ : ١١ وهو قصة عدم رجم المسيح للزانية وهي غير موجودة في أكثر النسخ القديمة ولا في السينائية والاسكندرية والفاتيكانية

(٣) ما في رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ وهي العبارة الصريحة الوحيدة في عقيدة التثليث (* وهي غير موجودة في النسخ القديمة ولا معتبرة عند أكثر المحققين منهم

*) حاشية : مما يزيدك وثوقاً على أن عقائد النصارى لم تكن ناضجة في أذهان كتاب العهد الجديد وأنها كانت في طور النشوء والتكون ما جاء في انجيل يوحنا وهو عند المسيحيين أصرح الاناجيل وأرقاها بالنسبة لعقائدهم هذه قال عن المسيح ١٤ : ١٠ (الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الاعمال) وقال ١٤: ٢٤ (والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي ارسلني) وكلاهما يدل على أن أقنوم الابن المتحد بالمسيح والحال فيه ليس الها حقيقيا لان العامل في المسيح والمتكلم فيه هو الآب والا فلماذا ترك ذكر الابن ولم ينسب اليه أي عمل أو قول لو كان أقنوم الابن الها كما يزعمون ؟ ولماذا قال « الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا (يو ٥ : ١٩) ولماذا صلى الابن للآب حينما أراد احياء العازر من الموت (يو ١١ : ٤١ — ٤٢) ؟؟

فالظاهر من العهد الجديد كله أن الابن لم يكن الها حقيقيا مساويا لله تعالى وانما صنعه الله قبل جميع الخلائق فهو بكرها كما قال بولس (كولوسي ١ : ١٥) وأخضع له كل شيء (أفسس ١ : ٢٢) وبه عمل العالمين (عب ١ : ٢) فالله تعالى هو العامل فيه كل شيء (أع ٢ : ٢٢) وهو الذي صيره الها بعد أن وجد في البدء كما قال يوحنا ١ : ١ (وكان ٥ أي صار ٥ الكلمة الله) سيخضع الابن لله تعالى (كور ١٥ : ٢٨) فهو ليس في مرتبة الاله الآب كما يفهم من جميع هذه النصوص ولذلك يسميه دائما بولس وغيره (الرب يسوع) كما ذكروا اسمه مع الله الآب (أنظر مثلا اتسالونيكي ١ : ١ ويعقوب ١ : ١ و ٢ بطرس ١ : ٢ وغير ذلك كثير) والرب هو السيد فلما ميزوه عن الآب بهذا اللقب فهو على زعمهم رب العالم واله ولكن الله سيده والهه وخالقه والمعطي له كل سلطة وسيخضع الابن له كما قال بولس (١ كو ١٥ : ٢٨) ألا ترى الى قوله ١ كور ١١ : ٣ (ان رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله) وقوله ١ كور ٨ : ٦ (لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به) وهما صريحان في أن المسيح أقل درجة من الله وأن الله ربه وأن الاله واحد وهو (الآب) وأن المسيح هو سيد فقط والذي عمل الله الواحد به جميع الاشياء . ومن الغريب أن النصارى الموحدوا بولس وغيره لا يسميه الها في رسائله الا مجازا كما سمي موسى في التوراة (خر ٧ : ١) ولا يساويه بالله الآب عمدوا الى التحريف فزادوا اسم (الله) في حق المسيح ليساووه بالآب وقد عرف ذلك =

أنها زائدة ولذا يضعونها في نسخهم بين قوسين إشارة لذلك . فهذا شيء من الاختلافات التي يقولون عنها إنها طفيفة

قال صاحب كتاب (الادلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية) إن من هذه الاختلافات : ـ

(١) ما نتج من فقد جملة صحيحة من النسخة

(٢) ما نتج من مخالفة ترتيب الكلمات

(٣) ما نتج من وضع الكتاب خطأً كلمة عوضا عن أخرى ، اذ لا تختلفان إلا في حرف أو اثنين

= بمقابلة النسخ الحالية على النسخ القديمة وأقر بذلك علماؤهم كما في الرسالة الاولى الى تيموتاوس ٣ : ١٦ فلم يكن فيها لفظ (الله) وأصل العبارة (الذي ظهر في الجسد) وكذلك أبدلوا لفظ (الرب) بلفظ (الله) في سفر الاعمال ٢٠ : ٢٨ «كما قال كريساخ أحد المحققين منهم» ولا يبعد على مثلهم التحريف في غير هذين الموضعين كما بين في الكتب ولكن المبشرين يكابرون ويزعمون أن كتابهم [illegible]

وقد اعترف المسيح نفسه كما في انجيل يوحنا أن الفاعل للاعمال التي يعملها والاقوال التي يقولها هو الله الاب كما سبق ولو كان أقنوم (الابن) الموجود فيه الها لقال ناسوت المسيح ان الفاعل فيّ لكل شيء هو (الله الابن) لكنه لم يقل ذلك قط . ولم يرد لفظ أقنوم في كتابهم مطلقا ونرى النصارى الآن لا تقول بحلول أقنوم الاب في المسيح مع أن المسيح يقول « الاب الحال في » (يو ١٤ : ١٠) فلا ندري أيهما نصدق ولماذا اختلفوا ؟

واذا كان الاب حالا في المسيح كما قال وكذلك الابن والروح القدس (يو ١ : ٣٢) فالمسيح محل الثالوث كله الذي لا تسعه السموات والارض (٢ أي ٢ : ٦) فلماذا اذاً يسمونه (الابن) مع أن فيه الثلاثة لا الابن وحده ؟ ولماذا نرى المسيح يطلب من الاب وحده كل شيء ؟

ولماذا لا يجعلون الاقانيم أربعة أخذا من قول لوقا ١ : ٣٥ (الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك) فيكون الاقنوم الرابع اسمه (قوة العلي) ؟

ولماذا لم تكن مريم الهة مع أن روح القدس حل عليها وعلى غيرها أيضا كما سبق (أع ٢ : ٤) ؟

واذا كان الله حالا في الكل وعلى الكل وبالكل كما قال بولس في رسالته الى أهل أفسس (٤ : ٦) وأنهم هيكل الله الحي (١ كور ٣ : ١٦) فلماذا اختص المسيح بالالوهية والعبادة مع أن الله ليس موجودا فيه وحده بل في غيره أيضا ؟ فهذه يا قوم هي العقائد السامية في اللاهوت التي تدعونا النصارى اليها وهي كما ترى متضاربة متناقضة غير صريحة في كتبهم وناقصة ولم تكمل في ادمغتهم الا بعد المسيح وتلاميذه وبعد انتهاء زمن تأليف الاناجيل وبعد أن اختلفوا واقتتلوا فيها دهورا طويلة سالت فيها دماؤهم أنهارا ولا يزالون الى الآن مختلفين فانظر وتعجب !!

(٤) ما نتج من إدخال عبارات أو جمل كاملة من (بشارة) أو اثنين إلى الثالثة لجعل الأناجيل متشابهة

(٥) ما نتج من قصد النساخ أن يجعلوا الاقتباسات من العهد القديم في الجديد مضبوطة

(٦) ما نتج من استبدال بعض جمل بأخرى كانت في الحاشية

(٧) ما نتج من استبدال بعض الألفاظ القديمة بغيرها من الحديثة

(٨) ما نتج من تبديل أو حذف كلمات تحدث تغييرا طفيفا في المعنى

(٩) ما نتج من إهمال بعض النساخ في وضع أو ترك أداة التعريف

إنتهى باختصار (راجع ص ٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ من الكتاب المذكور . وقال في ص ١٠١ و ١٠٢ عن قول متى (٢٣: ٣٥) أن زكريا بن برخيا (إن المذكور في كتاب أخبار الايام الثاني ٢٤ : ٢٠ و٢١ أن زكريا بن يهوداع هو الذي قتل وأما ابن برخيا فلا يعرف أنه قتل فالارجح أن ذكر اسم الأب هنا من خطأ الكاتب) اه باختصار

فأي برهان يقوم على تلاعب النصارى بكتبهم أصرح مما ذكر وهل بعد ذلك تثق بأي شيء فيها مع أنها مملوءة بخطأ الكتاب باعترافهم ؟ أضف إلى ذلك أن هذه الكتب ما كانت محفوظة في الصدور وقل منهم من كان يعرف كل ما فيها وما كانت نسخها كثيرة لديهم في الازمنة القديمة وما كانت نسخها بأيدي العامة من الناس فلذا كان مجال التحريف والتبديل واسعا ولذلك ترى أن غلط النساخ وتحريفهم انتشر فيا بعد في جميع نسخهم ولولا وجود تلك النسخ القديمة لما عرفوا ذلك

فما يدرينا أن النسخ التي كانت قبل التي وجدوها وقع فيها مثل هذه التحريفات أيضا ؟ ومن يضمن صحة نسبة هذه الكتب إلى أربابها مع أنه كان لهم كتب مثلها كثيرة وقالوا إنها غير قانونية ورفضوها ؟ ومن يثبت لنا صدق كَتَبَتِها وعصمتهم من الخطأ والغلط كيف وانا نرى فيها كثيرا من الغلط كما تقدمت الاشارة الى بعضه ويظهر من بعض عبارات كتبهم كمقدمة انجيل لوقا ١ : ١ - ٤ أنها لم تكتب بالالهام بل بالاجتهاد

والخلاصة أن هذه الاناجيل لا يثق المسلمون بشيء منها الآن وهم لايعتدون الا بما قاله المسيح نفسه وثبت لهم أنه وصل اليهم بدون تحريف ولا تبديل وهيهات أن يثبت ذلك

وكما حرفت النصارى الاناجيل وغيرها كذلك دست على يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير في (التاريخ القديم) كتاب ١٨ فصل ٣ راس ٣ عبارة مقتضاها (أنه يجوز أن عيسى لم يكن انسانا وأنه صلب وقام من الموت في اليوم الثالث) وقد جزم المحققون منهم بأن هذه العبارة مدسوسة عليه وأنه لم يكتبها بل ان يوسيفوس سكت عن سيرة المسيح بأ كلها ولم يشر اليه إشارة تذكر (راجع أيضا ماقالته دائرة المعارف الانكليزية في هذا الموضوع) والعلماء الذين أنكروا صحة عبارة يوسيفوس هذه أدلة كثيرة يطول بنا شرحها في مثل هذا الكتاب وأهمها أنها لم تكن معروفة لأوريجانوس المتوفى سنة ٢٥٤ بعد الميلاد وهو الذي كان صارفا همه كله الى جمع كل ما جاء في تاريخ يوسيفوس عن المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يذكر هذه العبارة فاذا كانت موجودة في أيامه في التاريخ المذكور فلم تركها وهي من الاهمية بمكان عظيم ؟

فترى النصارى كما حرفوا كتب قدمائهم ـ كما اعترف بذلك لاردنر في تفسيره وآدم كلارك ويوسي بيس في تاريخه وغيرهم كثيرون ـ كذلك حرفوا كتب اليهود فزادوا في تاريخ يوسيفوس ماراوه يؤيد دعاويهم ومن ذلك يظهر لنا أن اليهود كانوا في غاية الجهل والضعف والتفرق والذل والبعد عن البحث والقدرة على المعارضة لدرجة جعلت النصارى تلعب بكتبهم كما شاؤا فلا يبعد أنهم حرفوا أيضا أشياء في كتبهم المقدسة من غير أن يعرفوها أو يجرأوا على المعارضة

واذا كان هذا حالهم باعتراف علمائهم فهل بعد ذلك نثق بأي شيء نقلوه في دينهم وهم يحرفون فيه ماأرادوا أن يحرفوه ولو كان موجودا عند اليهود أيضا ! ؟

وقد بين هورن في الباب الثامن من المجلد الثاني من تفسيره أسباب اختلافات نسخهم بمثل ما نقلناه هنا عن (كتاب الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية) ومما زاده أنهم كانوا أحيانا يحرفون قصدا لاجل تأييد مسألة أو دفع اعتراض

وقال (انهم كانوا تركوا قصدا العدد ٤٣ من الاصحاح ٢٢ من انجيل لوقا وهو قوله (وظهر له ملاك من السماء يقويه) لان بعضهم خشي أن تكون تقوية الملك للمسيح منافية لألوهيته) انتهى باختصار (١)

فان قيل اذا كانت كتب اليهود الاخرى المنسوبة لموسى غير سفر التثنية ليست صحيحة فلماذا لم يوبخ المسيح عليه السلام اليهود عليها ؟ قلت (يتلى)

---

(١) حاشية — يظهر من هذه العبارة التي كانوا حاولوا حذفها من الانجيل ان المسيح كان منساقا الى الصلب رغم ارادته وأنه كان يدعو الله بضجيج شديد ليصرف عنه كأس المنون حتى صار يتصبب عرقا فظهر له الملك ليقويه ويشجعه (لوقا ٢٢: ٤٢ — ٤٥) فأين اذا شجاعته ورغبته في تقديم نفسه كفارة عن بني الانسان ؟ وهل يكون بعد ذلك دوله لدوت برغبته وارادته وهو كان يتمنى النجاة منه لولا ارادة الله التي أكرهته عليه اكراها ؟

وهل بهذا الخور والضعف يفوق النصارى كيف يضحون حياتهم في سبيل نفع الناس ؟ وأين عمل المسيح هذا من عمل محمد وأصحابه الذين كانوا يستبشرون بالموت ويلاقونه بصدر رحيب غير هيابين ولا وجلين وكل ذلك كان منهم في سبيل الله وبقصد هداية الناس وأصلاح أحوالهم واخراجهم من الظلمات الى النور ؟ فمن منهما (محمد أم المسيح) كان أقدر على تعليم الناس تضحية نفوسهم في سبيل الله ؟ أنظر أصحاب عيسى كيف فروا من حوله وحزنوا وأنكره حتى كبيرهم بطرس (لوقا ٢٢ : ٤٥ و ٥٧ — ٦١) ثم ان المسيح زجر بطرس ووبخه حينما أراد تثبيطه عنه (متى ١٦ : ٢١ — ٢٣) ولكن ذلك كان قبل دنو ساعة الصلب فلما اقتربت خاف وضجر وصار يستغيث بالله لينجيه منه لشدة فزعه ورعبه (مر ٢٢ : ١٤ ومتى ٢٦ : ٣٦ — ٤٥) ولذا جاءه الملك وقواه

أما محمد وأصحابه فكانوا يرجون من الله الموت والشهادة في سبيله وهم في ميدان القتال كما هو معروف متواتر عنهم فأين هذا من ذلك ؟؟

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

أنظر الى الخنساء احدى نساء ذلك العصر كيف شجعت بنيها الاربعة وحرضتهم على الجهاد في سبيل الله حتى قتلوا جميعا يوم القادسية فقالت (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) ولا اريد أن استشهد هنا بأقوال الرجال من أصحاب رسول الله فانها شهيرة عديدة وكانوا مثال الصبر والشجاعة وقوة الايمان والثقة بوعد الله وتضحية النفس في سبيله فلذا دوخوا العالم في سنين قليلة وهو الأمر العجيب الذي لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر أجمعين وكل ذلك كان بسبب تأثير روح رسول الله فيهم وفي أخلاقهم

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٦

(مؤتمر ادنبرج سنة ١٩١٠)

عقد المؤتمر في شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ وكان للمسائل الاسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه ، بل ان لجنتين من أهم لجانه تفرغتا للبحث في أمر الاسلام والمسلمين

وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته في تسعة مجلدات لم نتمكن من الحصول عليها . الا انا عثرنا على مجلات ثلاث تكلمت عن هذا المؤتمر واحدة ألمانية وهي (مجلة الشرق المسيحي) التي تصدرها (جمعية التبشير الشرقية الالمانية) والثانية انكليزية وهي (مجلة العالم الاسلامي) المعروفة . والثالثة سويسرية وهي (مجلة ارساليات التبشير البروتستانية) التي تصدرها (جمعية التبشير في مدينة بال في سويسرا) .

وأعمال مؤتمر ادنبرج لم تكن حبرا على ورق بدليل أن (المؤتمر الاستعماري الالماني) الذي عقد عقب مؤتمر ادنبرج التبشيري اهتم بأمر ارساليات التبشير الجرمانية حتى خيل للناس ان هذا المؤتمر الاستعماري السياسي تحول الى مؤتمر تبشيري ديني .

أقوال المجلة الالمانية

مجلة الشرق المسيحي هي التي تنشرها جمعية التبشير الشرقية الالمانية منذ سنة ١٩١٠ . ولهذه الجمعية ارساليات تبشير وملاجئ للايتام في السلطنة العثمانية وفارس وبلغارية وروسية .

(*) تابع لما نشر في الجزء السادس ص ٤٤٢

قالت هذه المجلة في مقالة عنوانها «الشرق المسيحي وارساليات تبشير المسلمين»:

« ان أعمالنا قد ازدادت أهمية بين مسلمي البلغار بنعمة الله الساطعة ، وذلك بنشاط واقدام القسيس (افيتاريان) الذي كان اسمه من قبل أمين زاده محمد شكري وازدياد أهمية التبشير كانت بوجه خاص عقب تأسيس المدرسة الدينية الاسلامية . وما يأتيه هذا القسيس من الاعمال ـ بمساعدة الشيخ أحمد كاشف والمدرس نسيبي أفندي بقصد مقاومة الاسلام يبرهن لنا على أنه قد أزف الوقت الذي يتزعزع فيه الاسلام من أركانه(!) وينتشر الانجيل بين الشعوب الاسلامية (١) وان هذا الارتقاء التاريخي وما نصله في أرمينية وسورية وروسية قد جعلنا نزيد في اسم مجلتنا (الشرق المسيحي) وندعوها بعد الآن (الشرق المسيحي وارسالية التبشير الاسلامية) وسيعهد بتحرير القسم الاسلامي فيها الى القسيس (افيتاريان) » .

ونشرت هذه المجلة مقالة أخرى بقلم المستر (لسيوس) الالماني عنوانها (دخول التبشير العام في طور جديد) ذكر فيها أهمية مؤتمر ادنبرج وأنه أبان عن ارتقاء في أعمال المبشرين .

ومن هذه المقالة نعلم أن مؤتمر ادنبرج كان فيه ١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الانكليز و ٥٠٠ من الاميركان ومن مندوبي التبشير الاميركيين (المستر روزفلت) رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق الا أنه أرسل رسالة اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور . الا أن (المستر براين) استطاع أن يحضر — وهو خطيب أميركة المشهور وقد رشح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة مراراً وعلى هذا فالمندوبون الذين يتكلمون الانكليزية كانوا أكثر من ألف والذين يتكلمون الالمانية كانوا ٩٨ والآخرون يتكلمون بلغات مختلفة . ولذلك تقرر أن تكون الانكليزية لغة المؤتمر .

وتقول هذه المجلة ان ارساليات التبشير الانكليزية والارلندية تنفق في السنة ٠٠٠ر١٠٠ر٢ جنيه في سبيل التبشير وجمعيات التبشير الاميركية والكندية تنفق ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ جنيه وجمعيات التبشير الاوسترالية والافريقية والاسيوية والهندية

تحقق ٣٠٠٠٠٠ جنيه وماتنفقه جميات التبشير البروتستانية في باقي القارة الاوربية يبلغ ٧٠٠٠٠٠ جنيه

واقتبس صاحب هذه المقالة من قيود مؤتمر أدنبرج عدد جيش المبشرين البروتستانت فقال انه يبلغ ٣٨٨ و ٩٨ مبشرا تضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥٠٠ و ٥٠٠ شخص ويبلغ عدد النساء والرجال الوطنيين وغير الوطنيين من موزعي التوراة الذين يشتركون في التبشير والوعظ ٩١٣ و ٩٢

وعدد المعاهد الكنيسية ٦٧١ و ١٦ وعدد ارساليات التبشير العامة ٤٧٨ و٣ والتي في الدرجة الثانية ٠٠٩ و ٣٢ وعدد الاساتذة والتلاميذ الذين تحت إشراف المبشرين ٦٠٢ و ١٩٠ و١ وتوجد تحت سلطتهم ٨١ مدرسة جامعة وكلية وفيها ٩٩١ و ٧ طالبا ولديهم ٤٨٩ مدرسة دينية لتعليم لاهوت النصرانية وتخريج المعلمين والمبشرين وفيها ٥٤٣ و ١٢ طالبا. وهي تهيمن أيضا على ٥٩٤ و١ مدرسة ثانوية فيها ٤٢٠ و١٥٥ طالبا و ١ و ٩ و٢٨ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها ٢١٢ و ١٦٥ و ١ وما عدا ذلك فالمبشرون يديرون ١١٣ مدرسة من النوع الذي يسمى (بستان الاطفال) وفيها ٧٠٣ و ٤ أطفال.

وأسست هذه الارساليات ٥٥٥ مستشفى و١٠٢٤ صيدلية لها ٠٠٠ و٠٠٠ و٤ من المترددين عليها ولديها ١١١ مجلسا طبيا و٩٢ جمعية للممرضات و٢٦٥ ملجأ للايتام و٨٨ ملجأ للبرص و٢١ ملجأ للبرص أيضا وهي خاصة بالاطفال

وتدير ٢٥ مدرسة للعميان و٢١ معهدا للاسعاف و١٠٣ مستوصفات لمدمني الافيون و١٥ ملجأ للارامل

هذا كله كان سنة ١٩٠٢ ومن يقارن بينه و بين ما وصل اليه هذا الاحصاء سنة ١٩١١ ير أن هناك ارتقاء باهراً لان عدد ارساليات التبشير العامة بلغ ٨٣٨ و٣ والارساليات التي في الدرجة الثانية ٧١٩ و٣٤ وعدد الاساتذة والتلاميذ ٠٤٤ و١٢ و١ أما الجامعات والكليات فصار عددها ٨٨ وفيها ٦٢٨ و٨ طالبا ولدى المبشرين ٥٢٢ مدرسة دينية لتخريج المبشرين والمعلمين فيها ٧٦١ و١٢ طالبا وعدد

المدارس العليا ١٫٧١٤ فيها ٦٦٫٤٤٧ طالباً وعندهم ٣٠٫١٨٥ مدرسة ابتدائية عدد تلاميذها ١٫٢٩٠٫٣٥٧

أما المستشفيات فصار عددها ٥٧٦ والصيدليات ١٫٠٧٧ والمجالس الملية لا تزال ١١١ وفيها ٨٣٠ طالبا و ٩٨ معهداً للممرضات فيها ٦٦٣ طالبة

ويشرف على ارساليات التبشير ٢٥٠ جمعية عمومية عاملة و٤٣٣ جمعية لاعانتها و٢٢ جمعية مختلفة

وترد على صناديق ارساليات التبشير أموال كثيرة منها ٦٠٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك في السنة تدخل في صناديق جمعيات التبشير البريطانية والارلندية و ٦٧٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك في صناديق الجمعيات الاميركية والكندية و ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ في صناديق الجمعيات الاوسترالية والافريقية وغلة هذه الجمعيات كلها الانكليزية وأما ارساليات التبشير الأخرى فيرد على صناديقها ٢٠٫١٠٠٫٠٠٠ فرنك .

أقوال المجلة الانكليزية

أقوال المجلة الثانية معي (مجلة العالم الاسلامي) الانكليزية التي تصدر منذ شهر فبراير سنة ١٩١١ . ويتولى ادارتها القسيس زويمر رئيس ارسالية البحرين وقد استهل عددها الاول بما يأتي :

« تبين لنا من مراجعة (مجلة العالم الاسلامي) الفرنسية ومجلة (الاسلام) الالمانية ومن (دائرة المعارف الاسلامية الجديدة) المحررة بثلاث لغات ان زيادة العناية والاهتمام بأمر الاسلام تستدعي اصدار مجلة انكليزية خاصة بالابحاث الاسلامية ودرس أفكار المسلمين وعلاقاتهم بالكنيسة والخطة التي ينبغي اتباعها مع المسلمين واذا كانت الكنائس المسيحية تحاول التحكك بالاسلام فيجب عليها قبل كل شيء أن تعرف مركز الاسلام .

« دخلنا بعد مؤتمر القاهرة في دور جديد ظهرت فيه أهمية تنصير المسلمين وشعر زعماء التبشير بأن الكنيسة لابد لها من سبر غور المسألة الاسلامية وأن تحسن العناية بتربية المبشرين وتتوقع خيرا من أعمالهم . ومهمة تنصير المسلمين تقتضي

بايجاد ميدان مشترك للعمل تتضافر فيه الافكار والابحاث والمجهودات

« ومجلتنا تستحسن الاهتمام الشديد الذي أبداه مؤتمر ادنبرج . وستجتهد هي في متابعة البحث والمداولة في المسائل التي بحث المؤتمر فيها وتواصل الجهد لجمع كلمة الذين يحبون المسلمين (!) ويشتغلون لخيرهم (!)

« وهذه المجلة لا تمثل فرقة أو مذهبا واحدا من فرق الكنيسة وأحزابها بل هي ستكون واسعة الصدر سعة تامة . » اه

وقد نشرت هذه المجلة مقالة بقلم المستر شارلس وطسون تحت عنوان (العالم الاسلامي) قال فيها : « ان من الخطأ الحكم على مؤتمر ادنبرج بأنه لم يهتم بالمسائل الاسلامية . لان الغاية من عقد ذلك المؤتمر هي البحث في مسائل العالم الخارج عن النصرانية والاهتمام بايجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في أعمالهم ، وان نظرة واحدة توجه الى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الحظ الكبير الذي كان للمسائل الاسلامية في أعمال المؤتمر .

فقد كان المؤتمر مؤلفا من ثمان لجان اختصت الاولى والرابعة منها بالتوسع في بحث المسألة الاسلامية أما مهمة اللجنة الاولى فهي أن تبحث في المسائل الاسلامية من الوجهة الخارجية وفي ايجاد ميدان عام مشترك لاعمال المبشرين واختيار خطة « الهجوم » و « الغارة » وتقرير هذه اللجنة يتضمن احصاء متعلقا بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم في كل قطر

« ومما جاء في هذا الاحصاء ان في جزائر (ماليزيه) والهند الهولنديه ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٦ مسلم ويزداد عددهم يوما بعد يوم على نسبة ما ينقص من عدد الوثنيين . وتبين اللجنة ان المبشرين في الهند وقفوا جزءا من خمسة أجزاء من أعمالهم على تبشير المسلمين فيها . »

« ولهذه اللجنة فروع بحث بعضها في حال الاسلام في الشرق الادنى وآسية الوسطى . وقد جاء في تقارير هذه الفروع « أن المبشرين تتعذر عليهم الخوض في المسألة الاسلامية ، ولكن أعضاء اللجنة يؤملون زوال الصعوبات التي تقف في طريق ارساليات التبشير »

وجاء في تقرير اللجنة عن حالة الاسلام في أفريقية : « ان الموقف فيها صار حرجا لسرعة تقدم الاسلام وارتقائه الواسع في الشمال وما ناله التي في السواحل الى الجنوب والغرب الافريقي . والمبشرون كانوا أخطأوا في تقديراتهم السابقة . لانه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانوا يحسبونها خالية من الاديان المعروفة هي اما اسلامية بحتة واما أنها على أهبة الدخول في الاسلام »

وتقول اللجنة ان العداء الذي كان يظهره المسلمون للمبشرين قد خفت وطأته بالنسبة لما كان عليه .

ثم تناولت اللجنة البحث في الامور الاجتماعية الاسلامية التي تمهد السبيل لتنصير المسلمين ، فحضت جمعيات التبشير على توسيع نطاق التعليم الذي يشرف المبشرون عليه . وحصرت قراراتها بحادثين اثنين :

الاولى — ان ترقي الاسلام الذي يتهدد أفريقية الوسطى يحمل الكنيسة تفكر في مسألة دقيقة وهي: هل ينبغي أن تكون القارة السوداء اسلامية أونصرانية؟

الثانية — ان المسألة الاسلامية في الشرق على الخصوص صار لها مكان هام في أعمال المبشرين عقيب الانقلابات التي حدثت في بلاد الدولة العثمانية وفارس، مع انها لم تمكن تهم الكنيسة قبل هذه الانقلابات الا قليلا ، ولذلك أصبح من مقتضيات الظروف أن تقوم ارساليات التبشير بعمل ينطبق على المسائل الاسلامية

هذا شيء من أعمال اللجنة الاولى . أما اللجنة الثانية فهي خاصة بتمهيد ميدان العمل لرجال(الاكليروس) في ارساليات التبشير وقد أشارت الى الاسلام عرضاً لأن كل المجهودات التي يبذلها المبشرون لتأسيس كنائس يقوم بأكثر أعمالها أو بعضها المسلمون المتنصرون فشلت تماما الا في جزء من بلاد الهند الغربية

واللجنة الثالثة خاضت في الاعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون وا كتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الاوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوربة كلها »

وقد كان للاسلام الحظ الوافر من مذاكرات اللجنة الرابعة لانها كانت مكلفة بالبحث في علاقات الانجيل بالديانات الخارجة عن النصرانية والوسائل التي تظهر النصرانية على تلك الديانات المزاحمة لها .

وتناولت هذه اللجنة البحث في الاسلام بصراحة ومجاملة فذكرت ما ترى انه موضع ضعف فيه وما للنصرانية عليه من المزايا (؟) مستندة على أقوال المبشرين والمتنصرين .

وتداولت اللجنة الخامسة في كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم وألحت بضرورة تعليم المبشرين في البلاد الاسلامية دين الاسلام ولغة تلك البلاد

وأما اللجنة السادسة فبينت كيف تنظم ارساليات التبشير . وذكرت شيئاً عن الاسلام وعلاقاته بارساليات التبشير المدرسية التي للاميركيين

والموضوع الذي بحثت فيه اللجنة السابعة هو علاقات المبشرين بحكومات البلاد التي يبشرون فيها وموقف المتنصرين الوطنيين امام حكوماتهم . خصوصا في البلاد العثمانية وفارس .

وانتقدت انتقاداً شديداً الخطة غير المسيحية التي تنتهجها بعض الدول الاوربية مثل انكلترا في النيجر والسودان وقالت انها خطة من شأنها ترويج الاسلام والتزام طرفه . أما اللجنة الثامنة من المؤتمر فقد خاضت في كيفية الاشتراك وتوحيد أعمال التبشير ولم تخض في المسألة الاسلامية الا قليلا حيث قالت في تقريرها « الامر الذي لا مرية فيه ان المهمة الصعبة التي يقوم بها المبشرون في البلاد الاسلامية لم تظهر في غاية الصعوبة الا لانه يعسر على جمعية تبشير واحدة ان تقوم بها . الا ان وحدة العمل ستكون أحسن وأسرع حل لهذه المعضلة في اكمال مهمة التبشير »

وقد تناقش المؤتمر في المواضيع التي خاضت فيها اللجنة وكان للمعضلة الاسلامية حظ وافر اذ قام الدكتور القسيس (كارل كوم) الذي كان راجعا من أفريقية وأوضح بكل بيان الخطر الذي يهدد أفريقية وأنذر به الدكتور (جورج روسون) فتكلم المبشر (كوغبرغ) عن أحوال تركستان الشرقية . ثم

أشار القسيس (لبوس) الى عدم وجود مؤلفات مسيحية تختص بالمسلمين وانبرى القسيس (صموئيل زويمر) فأوضح بكل براعة وبيان المعضلة الاسلامية العمومية

اقوال المجلة السويسرية :

نشرت مجلة (ارساليات التبشير البروتستانية) التي تصدر في بلدة (بال) من سويسرة سلسلة مقالات عن تقارير اللجنتين السابعة والثامنة من لجان مؤتمر ادنبرج ، وتكاد تكون هذه المقالات المتسلسلة تكملة لما نشرته (مجلة العالم الاسلامي) الانكليزية

أما مقالات المجلة السويسرية فمكتوبة بقلم الاستاذ (شلاتار) صاحب التقرير المقدم الى مؤتمر ادنبرج بضرورة اعداد الوسائل لتوحيد أعمال التبشير .

قال هذا الاستاذ: ان مسألة توحيد أعمال التبشير من أهم ماينبغي للارساليات على وجه العموم العناية به ، ما دامت النصرانية لا تنتظر الا عن ثلث بني الانسان وبالتالي ما دام أمام النصرانية عمل جسيم يجب ان تتمه . اذ من المحقق أن الامم المتجانسة التي لاتدين بالنصرانية قد أخذت تندرج الى الاعمال التاريخية وسيقع بيننا و بين المنتمين الى الانجيل نزاع ومعارك شديدة . لذلك ينبغي للمبشرين أن يتضافروا و يتعاونوا لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفرقون

وهنا استشهد بحوادث اشترك المبشرون في الفيلبين وكورية بالعمل فأدت الى النجاح . مثال ذلك انهم تفاهموا في دهلي فتسنى لهم تحديد مناطق أعمالهم، وفي الصين نجح المبشرون المنتمون الى جمعيات متعددة في تأسيس مجلس لتوزيع الاعمال فكان موضع ثقة الجميع ، واتحدت اثنتان من الارساليات المنصرفة الى طبع الكتب الدينية ونشرها فطبعتا كتابا جمعت فيه النقط والمسائل التي تتفقان فيها . وانفردتا في نشر ما تختلفان عليه . وكذلك الحال في الجرائد والمجلات والمطبوعات التي تنشر بمشاركة الارساليات المختلفة .

ثم بني على ذلك ما لهذا التضامن والاشتراك من المحاسن والتأثير في جم

الكلمة وقال ان لجنة مؤتمر ادنبرج أقرت ضرورة تعاون الارساليات المختلفة. ليتسنى لها تأسيس كنيسة واحدة وسط كل أمة غير مسيحية كما فعل المبشرون في بعض جهات اليابان والصين والهند الوسطى. وقد ختمت لجنة مؤتمر ادنبرج قرارها في هذا الشأن بالجملة الآتية: « ان الميل الى تثبيت كنيسة المسيح المنشقة يزداد يوما بعد يوم. » ومما يجدر بالذكر ان لجنة مختلطة تألفت للنظر في هذا الامر.

وأشار الاستاذ (شلاتار) الى أهمية اللجنة السابعة التي كان اللورد بلفور - وزير اسكتلندة السابق وهو الآن عضو في المجلس الاعلى - رئيس شرف لها.

نظرت هذه اللجنة في المستندات التي وردت علينا من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها وعما اذا كان يوجد في سبيل التبشير ونموه موانع وعقبات. وعلى هذا فاللجنة السابعة بحثت عن حالة التبشير في كل البلاد

امتدحت اللجنة خطة حكومة اليابان مع المبشرين بمقدار ما استهجنت العداء الذي يظهره الموظفون الصينيون لكل شيء تشم منه رائحة الاجنبي. أما في الهند فالمبشرون متمتعون بالراحة لان الحكومة تساعدهم وتعضدهم بالاعانات وتشرف على المكان الذي تصرف في هذه الاعانات - الا انها مع ذلك واقفة على الحياد في الامور الدينية. وتساءلت اللجنة عما اذا كان من الممكن أن تخرج حكومة الهند عن حيادها الديني ؟ وحكومة هولندة تشد أزر المبشرين أكثر من الحكومة الانكليزية وقد رتبت لهم مرتبات مالية لتصرف على المستشفيات والملاجئ والمدارس وبسبب هذا الاتفاق بين الحكومة الهولندية والمبشرين وجود (فون بوتزيلر) فتصل المبشرين والوسيط بينهم وبين الحكومة. أما في آسية الغربية فأعمال المبشرين قاصرة على الطب لان نشر الانجيل لم يزل محظورا هناك والمتنصرون عرضة الهلاك في فارس وهدف للاخطار الشديدة في البلاد العثمانية

والمعضلة الاسلامية في افريقية أعقد منها في آسية. وكل ما يستطيعه المبشرون هناك هو منافسة المسلمين في التقرب من قلوب الوثنيين والاستيلاء عليهم ليس الا

والبلاد التي يدخلها الانكليز يكون باب التبشير فيها مفتوحا الا أن أهمية ذلك تقل اذا علم أن سياسة الانكليز التي يشكو منها المبشرون مبنية على المجاملة القصوى

الى حد يضر بالمسيحيين حتى أن الموظف يضطر للخضوع الى العادات والتقاليد الاسلامية واعتبار يوم الجمعة يوم راحة والاشتغال في يوم الاحد كما هي الحال في مصر والسودان(١). ولا حاجة الى التصريح بأن هذه الخطة تعرقل أعمال المبشرين وتدعو الى سخطهم وتجعل الاقباط عرضة للظلم(١) كل ذلك احتفاظا بمصلحة المسلمين. والمسيحيون في مصر كانوا الى سنة ١٩٠٧ محرومين من تعلم أمر دينهم في مدارس الحكومة على نفقة كنيستهم بينما الحكومة تعلم القرآن على نفقتها(٢) فاذا كان الانكليز يودون أن يروا تعاليم الاخلاق النصرانية ظاهرة على غيرها فينبغي لهم أن يساووا بين مسلمي مصر ونصاراها في الحقوق (٣)

أما في مدغسكر فقد كان المبشرون يلاقون صعوبة وشدة في المعاملة.

والقسم الثاني من أعمال هذه اللجنة يتعلق بموقف المبشرين أمام الحكومات من الوجهة الحقوقية. فتقرر أن يبقى المبشرون على تابعيتهم الاولى مالم يتجنسوا بجنسية البلاد. والمنصرون يظلون في تابعيتهم الاولى لان علاقتهم بالمبشرين دينية محضة. ويمكن للمبشرين أن يطلبوا من الحكومات مساعدات وامتيازات ولكن لا يجوز لهم التداخل فيما يتعلق بالمنصرين.

ولما انتهت اللجنة من أعمالها قال (اللورد بلفور) رئيس الشرف: «ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات وعلى هذا فنحن في حاجة الى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين»

فأجيب اللورد الى اقتراحه وتألفت لجنة مختلطة ولجنة لمواصلة العمل

﴿ نتائج مؤتمر ادنبرج ﴾

ألفت على أثر انحلال مؤتمر ادنبرج لجنة لمواصلة الاعمال التي بدأها. وعلى لها فروع كثيرة بعضها للاحصائيات وبعضها للنشر والمطبوعات وبعضها للتربية

(١) المنار: راجع رسالة «المسلمون والقبط» (٢) المؤيد: راجع خطبة سعادة السيد علي يوسف في المؤتمر المصري لتعرف قيمة هذه الاقوال. (٣) راجع ايضا رسالة «المسلمون والقبط»

والتعليم وآخر لحسم المشاكل بين المبشرين وواحد لدرس علاقات المبشرين بالحكومات وخصص أحد الفروع لدرس العقبات التي تحول دون نشر التبشير بين المسلمين

وفي مايو سنة ١٩١١ اجتمعت لجنة أعمال المؤتمر وبحثت في طرائق التربية والتعليم التي ينبغي لمبشري المسلمين اتباعها وقررت ان تنتهز الفرص وتنتفع بالظروف السانحة وان تنشر مجلة مختلطة تصدر سنة ١٩١٢ مرة في كل ثلاثة أشهر

وتقول مجلة العالم الاسلامي الانكليزية : ان أول ماينفذ من قرارات مؤتمر ادنبرج انشاء مدرسة تبشير مشتركة بين كل الفرق البروتستانية وتكون خاصة بتعليم مبشري الاقطار الاسلامية وهذه المدرسة يحتفل بافتتاحها في خريف سنة ١٩١١ وتقبل النساء والرجال وتعلم فيها اللغة العربية والعلوم الاسلامية وتاريخ الاوضاع الاسلامية والامور الاجتماعية التي اقتبسها المبشرون من بلاد الاسلام . وسيكون لهذه المدرسة مكتبة تحتوي أمهات الكتب العربية وغير العربية المتعلقة بالاسلام

٧

﴿ المؤتمر الاستعماري ﴾

نشرت المجلة السويسرية التي نقلنا عنها المقالة الماضية مقالة ذات شأن عن موقف ارساليات التبشير في المؤتمر الاستعماري الالماني . ومما يزيد في أهمية هذه المقالة انها مكتوبة بقلم (م . ك . ا كسنفلد) صاحب التقرير عن الفرع المختص بالاسلام في المؤتمر الاستعماري وهو أيضاً سكرتير جمعية التبشير في برلين

قال صاحب المقالة : ان المؤتمر الاستعماري امتاز بمزيتين الاولى ان بحث في الشؤون الصناعية والاقتصادية . والثانية اجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية الى الاعمال الاخلاقية والدينية في سياسة الاستعمار الالماني

واستشهد بقول (شنكال) رئيس غرفة التجارة في (همبرج) . ان نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون الى المستعمرات وأهم وسيلة

للحصول على هذه الامنية ادخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة لأن هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الامنية المنشودة ، حتى من الوجهة الاقتصادية

وحض السامعين على تقدير عمل المبشرين واحلاله في محله اللائق به

وبحث أعضاء المؤتمر الاستعماري في شؤون تتعلق بالتبشير فكفوا المبشرين مؤنة الكلام عن أعمالهم . ولم يشترك هؤلاء المبشرون في المداولات الا عند ما أخذ المؤتمر يبحث في أعمال فرعه الرابع الخاص بالمسألة الاسلامية . فأفاض المبشرون وتوسعوا في القول حتى خيل للجميع أن المؤتمر الاستعماري تحول الى مؤتمر تبشيرا

ثم حدث اختلاف بين المبشرين وأعضاء المؤتمر في نقطة النظر الى الاسلام فقام (اكسنفلد) كاتب هذه المقالة في المجلة السويسرية ولفت الانظار الى الخطر الاستعماري في المستعمرات الالمانية بأفريقية واقترح على المؤتمر الاهتمام من كل الاوجه بعاقبة الحالة الحاضرة ، سواء في ذلك الوجهة التبشيرية والوجهة الفكرية ووجهة السلطة السياسية .

وقام بعدها الاستاذ (باكر) العضو في مجلس المستعمرات في همبورج فتوسع في الكلام على « الحكومة وارساليات التبشير وعلاقاتهما بالسياسة الاسلامية » وأبان عن الفارق الذي يفصل مصالح الاستعمار ومقاصده عن ارساليات التبشير . وقال ان من الخطأ تطبيق الآراء والاقوال المتعلقة بالتبشير على أمور الحكومة .

فرد عليه (اكسنفلد) وقال : ان الاستاذ (باكر) لم يدرك المقصد الذي أراده المبشرون ، والخطر الاسلامي صار أمره معروفا عند الجميع وعند الاستاذ باكر أيضاً (١). ونحن المبشرين لم نقصد أبدا أن نجعل مصالح الحكومة كمصالح الكنيسة .

ووافق اكسنفلد الاستاذ باكر على نقط متعددة وقال : « ان الحكومة لا بد

---

١) هذا هو صوت مطرس الراهب والا فأين هو الخطر الاسلامي الذي يخاف منه على المسيحية والنصارى؟ ومن أين يوجد خطر اسلامي كبير وهو وجود المسلمين أنفسهم قذى في عيون هؤلاء القسس الذين لا يرضون عن المسلمين الا ان يتبعوا ملتهم ولعل يوم جلاء الحقائق يكون قريبا! بلى انه قريب ان شاء الله تعالى « انهم يرونه بعيداً ونراه قريبا » صالح مخلص رضا

لنا من القيام بتربية الوطنيين المسلمين في المدارس «العلمانية» ما دام هؤلاء المسلمين ينفرون من المدارس المسيحية ، ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم عن اعتقادنا بأن المدارس العلمانية تزيد الاسلام نموا وارتقاء (!) واذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مقاصدنا ومصالحنا فيجب علينا بداهة أن ندرك أهمية هذه المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها أيضاً .

وأشار (اكنفلد) الى قرار المؤتمر الاستعماري الذي وافق عليه عقب خطاب « الاستصراخ لشن الغارة على الاسلام » الذي ألقاه اكنفلد نفسه ، يضم الى ذلك الخطاب المعتدل الذي ألقاه الاستاذ باكر وحسبه اكنفلد مدحا وثناء على الاسلام .

أما قرار المؤتمر الاستعماري الذي وفق فيه بين خطابي اكنفلد وباكر فقد جاء فيه :

« ان ارتقاء الاسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم . ولذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة . والمؤتمر الاستعماري – مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما في الشؤون الدينية – يشير على الذين أمسكوا زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وأن لا يضعوا العراقيل في طريق انتشار النصرانية . وأن ينتفعوا من أعمال ارساليات التبشير التي تبث مبادىء المدنية ، خصوصا بخدماتهم التهذيبية والطبية . ومن رأي المؤتمر أن الخطر الاسلامي يدعو الى ضرورة انتباه المسيحية الالمانية لاتخاذ التدابير – من غير تسويف – في كل الارجاء التي لم يصل الاسلام اليها بعد » اه

هذا ما جاء في مقالة المجلة السويسرية .

ونشرت (مجلة العالم الاسلامي) الانكليزية بعض جمل من خطاب الاستاذ باكر الذي ألقاه في المؤتمر الاستعماري الالماني . ومن هذه الجمل قوله :

« ان السياسة التي ينبغي الجري عليها في معاملة المسلمين تحتم علينا وضع خطة جديدة في مجرى سياسة حكومتنا .

« والمبشرون هم الذين اختصوا وحدهم بالاهتمام بامر الاسلام والبحث في شؤونه بكل مستعمراتنا الالمانية الى هذه الايام الاخيرة .

« وأنا لا أرى أن تظل الحالة على ما هي عليه ، بل رأيي أن تنتقل أزمة السياسة الاسلامية منذ الآن و بعد الآن الى يد الحكومة في كل مستعمراتنا

« و يجب على حكومتنا في هذه الخطة الجديدة التي أشير اليها أن تستعين بالوجهة الوطنية لا بالوجهة الدينية كما تتوصل الى مقاصدها . وعندئذ يتسنى لها أن تعلم حق العلم أن الاسلام وان يكن عدو النصرانية الا أنه مستعد للارتقاء والتقدم في سبيل المدنية الحاضرة . »

وقال بعد ذلك :

« يجب على ادارة المستعمرات أن تستعين بالاسلام على تربية الوطنيين كما تفعل فرنسة وانكلترة وهولندة وينبغي للحكومة أن تقف على الحياد التام في المسائل الدينية .

« وأنا أقترح على حكومتنا أن تضع خطة موطدة الاركان في الامور الآتية :

الاول — في الخطة العامة للنظام الاداري والديني .

الثاني — في علاقة الشرع الاسلامي بالقوانين الاوروبية .

الثالث — في نظام التعليم .

« ومن الضروري أن تدرس الحكومة الدين الاسلامي وأن تعنى به أشد العناية بواسطة أشخاص تخصهم بتوفية هذا العمل حقه . »

وختم خطابه بقوله :

« يجب علينا ـ بالرغم من العناية برعاية الاسلام ـ أن نهتم بمقاومة انتشاره في مستعمراتنا على قدر الامكان . وليس هنالك غير واسطة واحدة توصلنا الى هذه الغاية وهي انشاء مراكز ثابتة الاركان لدين النصرانية كما تعمل ارساليات التبشير . »

(يتلى)

﴿ فرنسة في تونس وانكلترة في مصر ﴾

اذا نظر المصري الى ما بين يديه من علم ومدنية وأدب الخ مما يسمونه «التمدن الحديث» فانما يرى مصدر ذلك كله فرنسة والفرنسيين، واذا نظر المسلم الى أقدم صديق لدولة الاسلام سواء كان في دولة العباسيين العربية أو الدولة العثمانية التركية في جميع أوربة فلا يرى أمامه الا فرنسة ، بل ان الفضل في انقلاب هيئة العلم والادارة في أوربة جمعاء أنما هو لفرنسة ، فاذا ادعت فرنسة بانها أم المدنية فان لديها من البينة في الشرق والغرب مايؤيد دعواها، واذا نظر الشرقي الى أقرب الامم الاوربية له في الاخلاق والعادات فانه لايرى امامه غير الفرنسي (هذه اقوال متداولة بين الناس)

يقولون: ان فرنسة كانت ولا تزال ام العلم والمدنية في الشرق والغرب وربة المال في جميع أقطار المعمور ـ والمال حياة العمران ـ ومبدأ نهضة سورية الاخيرة فرنسي والتفرنج المصري والرقي العلوي افرنسي وقواد محمد علي واساتيذ مدارسه من الفرنسيين

فرنسة هي نفسها التي أعلنت بأنها حكومة لا دين لها ومعناه انها لاتتعصب دينا على دين فهي أم الحرية أم الاخاء أم المساواة ـ كما يقولون ـ وهي التي جعلت عنايتها موجهة للتعليم «اللاديني» في مستعمراتها وقد قال أحد المبشرين الالمانيين (اكسنفلد) «ان المدارس العلمانية تزيد الاسلام نموا وارتقاء»

كل هذا مما يكاد يكون من القضايا المسلمة عند كثير من الكاتبين والمفكرين وكان على مقتضى ذلك أن يكون المسلمون الذين هم تحت حماية فرنسة من أكثر الناس نعما بحريتهم الدينية والادبية ولكن الحوادث التي تأتينا من قبل مستعمراتها الاسلامية على العكس من ذلك اذ هي تدلنا أن المسلمين الذين تحكمهم فرنسة من أشقى الناس وأتعسهم

كتب أحد المخلصين من تونس (وقد أقام بها أياما) الى المنار مقالة تحت عنوان « حقيقة أخبار عن تونس لشاهد عيان » بامضاء « ابن الحقيقة » ذكر في مقالته هذه من معاملة فرنسة الجائرة للمسلمين ما لا يكاد يصدق وقد نشرت مقالته

هذه في الجزء الخامس من منار هذه السنة بعد حذف شيء كثير مما كتب على ظن انه من المبالغة ثم منذ ايام أم القاهرة ذلك الرحالة المجاهد وأخبرنا انه شاهد جميع ما كتبه عن تونس عيانا وفوق ما كتب من المعاملة الجائرة التي تعامل بها فرنسة التونسيين وان ابعاد أولئك الافاضل لم يكن له من سبب الا انهم كانوا يحامون عن حقوق الضعفاء

وذكر ان من الشيوخ الرسميين وغير الرسميين من ينفخ في بوق الفتنة ولو خاف الله لأمكنه أن يساعد وطنه وملته . وأطلعنا على عدد من جريدة الزهرة فيه أن بعض أعضاء المجلس الشورى قال في خطبة القاها بعد تلك الحوادث « ان تونس هي بنت فرنسة المدللة » الى آخره ثم قال : ولو انصف لوضع للدال نقطة ولكنه أبى ان ينطق بالحق (أي لو أنصف لقال المذللة)

فسألته عن حالة تونس الادبية فقال أن هنالك رجالا قد عرفتهم ما أظن انه يوجد في مصر أو الشام أحسن منهم أخلاقا وغيره ملة ولكن التضييق شديد كما قلت لكم

ثم أخبرنا بان لديه كتابات خصوصية لم يؤذن له بنشرها وفيها من الغرائب والعجائب ما يدهش العقل وذكر ان كل قادم لتونس من هذه البلاد يكون تحت مراقبة البوليس وانه رسم طريقة للمخابرة مع أناس من الاحرار في تونس لا تصل اليها يد المراقبة وهو يأمل أن تأتيه اخبار من هنالك قال وبهذه الواسطة أخذت هذه الجريدة وما لدي من الكتابات المذكورة

وودعنا جاعلا وجهته سورية فالاستانة العلية ووعد بموافاتنا بما يصل اليه في أي مكان كان (١)

---

(١) كان أثناء وجوده في مصر كتب مقالة لجريدة « الجريدة » التي تصدر في مصر فابت نشرها خوفاً من غضب ايطالية او فرنسة منها أو مراعاة لحياد (المجموعة) المصرية ننبتها هنا ليرى القراء مبلغ حرص الجريدة على مراعاة احساس ايطالية أو فرنسة وهي :

« الى سيدي مدير الجريدة

« كتبت الى مجلة المنار الزاهرة منذ اشهر مقالا تحت عنوان حقيقة اشار عن تونس لتاهدة ما اتيت فيه على لباب الحوادث الاخيرة التي شهدتها وسمعتها يوم كنت بتونس قاصدا دار الحرب فقد قدر الله طول الاقامة هنالك (لمصلحة المجاهدين) حتى شهدت تلك الحوادث المتسلسلة ولا أدري ماذا كان من بعدي ولعل اتصل في الآن القريب بافادات مفصلة عن حال أولئك —

لم يكن هذا الكاتب أول مخبر عن تونس فيشك في اخباره واذا كان هو المخبر وحده عن تونس فمن الذي يخبر عن أحوال الجزائر ومراكش ؟

كان على فرنسة وهي مملة المدنية أن تكون أوسع صدراً مع محكوميها من انكلترة ولتذكر ما يقوله ساسة الالمان من اغتنام فرصة الانتفاع بتحول قلوب المسلمين عن فرنسة

هذه مصر والسودان يكتب فيهما الانسان ما يشاء لمن يشاء حتى بعد احياء قانون المطبوعات ولم نسمع بان عدة جرائد أقفلت في يوم واحد أو ان اناسا أبعدوا من أجل حرية أفكارهم بل ان المحامين دافعوا دفاعا مرا يوم محاكمة قاتل رئيس النظار السابق والمتهم يقول : انا قتلته لانه كان مضرا بوطني فماذا جرى ؟ نفذ الحكم بالمعترف بالقتل دون أن يلحق غيره من أهل حزبه أو وكلائه أدنى ضرر

وجرى بمصر اعتصاب عمال الترام مثلما جرى بتونس فلم يكن من الحكومة الا اجراء وظيفتها ولم تخلق مسألة سياسية دولية من جراء ذلك . واعانات الحرب تجمع علنا وتنشر في الجرائد بل يأتي الى مصر من المستعمرات الانكليزية اعانات كثيرة للدولة العلية ولم يكن من الانكليز أدنى معارضة

لهذا نرى المسلمين أميل الى الانكليز من جميع الامم وأشد نفورا من فرنسة ولقد رأيت أحد المراكشيين يوما يبكي فقلت ما يبكيك ؟ قال مستقبل بلادي وليتها

= المصطفين فقد عرفت من خيار الاحرار هنالك من أرجو منه ان يوافيني بانباء ما يقع وقد وصلني من بعض أولئك عدد من جريدة الزهرة « منديوميي » ممدود على بعض فصوله خط بالمداد الاحمر فعلمت ان ذلك لسر فيه فكان اول ما قرأته فادا فيه ان بعض اعضاء المجلس الشوري قال في خطبة ألقاها بعد تلك الحوادث : ان تونس بنت فرنسة المدنية . فعجبت لهذا العضو الجاني على جنسه بما لا يجنيه اله عدو

الا ليته صمت اذ لم يقل خيرا اليس في كلمته هذه ما يأتي على اعمال التائبين بطلب الحق ويذهب بامال كل ذي امل

واني لا أرجو منك نشر هذه الكلمات بعد ان عدلت عن تقديمها الى المنار الاغر لما حال على نشر مقالتي التي قدمتها اليه من الامد على اني تشرف مقتله اياها اذا كان له غرض في ذلك لانها كالنسمة نقلته وقد أردت أن تنشر بامضائي الصريح لاني وقد أصبحت بين أظهركم لا أخشى قسيا ، ولا أخاف واشيا، وسأتشرف بزيارتك ودمتم امدم

القاهرة في ١٠ آيور سنة ١٩١٢ — محمد نجيب الحسني

اذ وقعت تحت حكم أجنبي كانت من حظ الانكليز . كذلك سمعت غير واحد من البلاد التي لا يزال لها الاستقلال يقول ان كان ولا بد من ذهاب استقلالنا فمن للانكليز ولم ياترى ؟ ؟ لانه يظن أن فرنسة تطمع باحتلال بلاده

ألم تكن فرنسة جديرة بان تميل الشعوب اليها ميلها للانكليز ؟ بل ألم تتعلم فرنسة طريقة الانكليز في الاستعمار؟ لا أقول هذا مادحا الانكليز ولكنني أحكي ما اسمعه واثبت اختباري وأسأل الله تعالى أن يحمي بلادنا باستيقاظ أهلها وحكومتها من الوقوع في أشراك الاستعمار وخصوصا الاستعمار الفرنسي

صالح مخلص رضا

﴿ الـكهف والرقيم ﴾

« في ملخص رحلة المصلح العظيم والمجدد الحكيم »

اهدى الاستاذ السيد عبد الحق حقي الاعظمي البغدادي الازهري نائب استاذ الشعبة العربية في كلية عليكده الاسلامية في الهند ادارة المنار ١٨٠ نسخة من مؤلف له سماه الـكهف والرقيم ، في مختصر رحلة المصلح العظيم والمجدد الحكيم تتضمن اختصار رحلة صاحب المنار في الاقطار الهندية حيث كان المؤلف ترجمانا ورفيقا له

اوضح اسماء البلاد التي امها السيد والعلماء والامراء الذين قابلهم والمآدب والحفلات التي اقيمت للاحتفال به في بلاد عديدة وشرح جميع ذلك شرحاً واضحاً مبينا وابان ما كان لـكلية ندوة العلماء من الفائدة بزيارة السيد صاحب المنار وما كان من الحركة الفكرية في مسلمي الهند وما أبداه السيد من النصائح وما تلاه من الخطب في تلك الحفلات وصدرها بكتاب تقدمة واختتمها بكتاب من السيد ارسله اليه ووصف الوداع واللقاء في كل بلدة امها السيد وقال انه جعل مؤلفه هذا كتذكرات للسيد باسماء البلاد والاشخاص والآثار والمدارس الى غير ذلك مما شاهده هنالك لـتكون مساعدة له في تأليف رحلته الهندية . ويعلم قراء المنار ان السيد وعد بكتابة هذه الرحلة المباركة ان شاء الله تعالى

فنشكر للاستاذ الصديق عنايته هذه ونرجو من الله تعالى ان يكثر من امثاله في المسلمين وان ينفع به آمين

صالح مخلص رضا

السكة الحديدية
« في الحجاز »*

تواترت الاخبار اليوم بمكة المكرمة ان حكومة الحجاز الآن مهتمة جداً بتسيير السكة الحديدية بين المدينة ومكة وبين هذه وجدة وهذه الاخبار طالما كانت تتشوق قلوب المسلمين الى وجودها خارجا لكونها تتردد مرارا من سنة الى أخرى حتى تسلسلت الى ما لا نهاية لها لكنها ساذجة

حقا أقول : ان الانسان بواسطة هذه السكة صار يستغني في سفره عن عدة أشهر ببعض أيام وعن عدة أيام بيوم أو بعض يوم فضلا عما توفر له من ماله الذي كان يصرفه في سفره وما اكتسبه من الراحة عما كان يكابده من المشاق والمصاعب والعوائق فلا تروج صناعة ولا تتقدم تجارة ولا زراعة الا بها لانها هي تنقل المصنوعات الخطيرة والحقيرة من بلد الى بلد ومن مملكة الى أخرى فيحسن حالها ، وتنقل حاصلات الزراعة من الحبوب والثمار وغيرها فيزيد نفعها وتزيد بزيادته رغبة الناس فيها واعتنائهم بها

وقصارى القول ان هذه السكة قد سهلت من السفر كل خطر شديد وجعلت البلد البعيد أقرب من حبل الوريد ، وسهلت المواصلات ، وقربت المسافات ، فنمت التجارة ، وعظمت الامارة ، وتلألأ العمران في سائر البلدان ، وتيسر للعلماء واصحاب الصنائع السفر الى البلاد البعيدة ، والاطلاع على أمور كثيرة ، وبذلك تنمو العلوم ، وتكثر الفنون ، وغير ذلك من منافعها التي لا تحصى ولا تكاد تستقصى ، لاسيما السكة الحجازية فان فوائدها أكثر ، ومنافعها أكبر ، وبيان ذلك

*) رسالة وردت من مكة المكرمة لصاحب الامضاء

ان طريق الحجيج الى بيت الله الحرام والمدينة المنورة أيضا كلها مشقات واخطار التي لم يوجد في بلد من البلاد الاسلامية مثلها لان نظام القافلة لاضمانة له أصلاً كما هو مشاهد بالعيان في طريق المدينة ، ويكثر وقت تحميل القافلة وتنزيلها وسيرها السارقون والمتهيون والمختلسون ، وربما هجم قطاع الطريق على الحجاج في هذه الطريق . وفي ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ كانت القافلة خرجت من مكة المكرمة بقصد زيارة الروضة النبوية الطاهرة وكان اكثر افرادها من الحجاج الجاويين المساكين وبعد أن بلغت محطة « بئر درويش » التي تبعد عن المدينة المنورة يوم واحد أشيع بينها بواسطة الجمالة عن توقع اعتداء العربان عليها وتسبب عن هذه الارجوفة عودة القافلة من حيث أتت

لذلك كان الحجاج اذا قصدوا الى اداء هذه الفريضة أو الى زيارة الروضة النبوية كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم واذا ساروا فقلوبهم تستغيث الى الله عز وجل أن يردهم سالمين غانمين وان لا يصادفهم أثناء السير أدنى ضرر وخلاف حتى كأنهم سائرون الى موقف القتال وهذا كما لا يخفى على عاقل ينافي دعاء نبي الله ابراهيم المذكور في كتاب الله العزيز : « واذ قال ابراهيم ربي اجعل هذا بلداً آمناً » الآية

ومع هذا فجل ما سمعنا من سوادهم الاعظم قولهم : ان تسيير السكة الحديدية في هذه الاقطار ذريعة لدخول المشركين اليها فلم يرغبوه خوفا لذلك

ثم الحقيقة ان هذه المقالة انما هي بسبب الغفلة والذهول عن الاحتمالات العقلية الصحيحة وسبب الذهول هو النظر الى البلاد الاسلامية التي تحت ولاية دول أوروبة لكثرة الافرنج فيها والا فيحتمل ان يتزيا الافرنجي بزي المسلمين ويتكلم باللغة العربية الفصيحة ويدعي دين الاسلام ويدخل الى هذه البلاد لتحقيق ما قصده من الاطلاع على الشؤون الاجتماع والعمران فمن الذي يعلم هذا ؟؟؟

ومما يؤيد هذا الاحتمال ما كتبه الاديب النجيب محمد بك لبيب في الرحلة الحجازية ما نصه : اما افراد الفرنجة الذين قصدوا مكة او المدينة في ازمنة مختلفة وكتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية اودينية او عمرانية او جغرافية

انما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد ان يعرفوا اللغة العربية ويدعون أنهم على الدين الاسلامي نخص بالذكر من هؤلاء بوركادت السويسري وبورتون الانكليزي وهود جرونج الهولاندي (١) وكورتلمون الفرنساوي اهـ

وبناء على ماتقدم لم يبق شك أن تسيير السكة الحديدية ليس سببا لذلك كما قد يتوهم والا فدخول هؤلاء الى هذه البلاد بماذا؟ فليأتونا دليلاً عليه فهل بواسطة الطيارات والمناطيد الهوائية (Ballon) لا ! لا ! فان الحجاج لا يدخلون اليها ولا يخرجون منها الا في ركب القافلة التي لا امانة لها اصلاً وعلى كل فنحن نتأكد من اهتمام دولتنا العلية لذلك وجملتنا عموماً بلا استثناء نثني على همم معالي الدولة العثمانية بكل جوارحنا ، تتخذ الوسائل لحفظ شؤون وراحة حجاج بيت الله الحرام مما يدلنا على ما لدولته من خلوص الاعتقاد والشفقة والحرص التام على رعاية الحجاج والالتفات صدق نوايا الخليفة الاعظم ايده الله والسلام

يوم الاحد ٢٩ جماد الآخر ١٣٣٠　　كاتبه

أبو ذاكر الأيداني

يقول صالح رضا : لاشك أن وجود السكك الحديدية التي تقرب الابعاد لمن أهم وسائل العمران وقد ظهر للحجاز بين فائدة وصول السكة الحديدية الى المدينة المنورة والسكة الحجازية هي أهم سكك حديد الدولة الاسباب التي ذكرها الكاتب ولانها هي السكة الملية الوحيدة في بلاد الدولة العثمانية

وان لارتقاء البلاد أسبابا أخرى أهمها نشر العلم الحقيقي الذي اصبح اداة كل رقي وملاك كل عمل نافع واذا تحضرت البلاد بغير أهلها فانذلك هو الخراب الحقيقي لهالان الوافد اجنبيا كان أو وطنيا انماهو مستعمر مستثمر لذلك كان من الواجب لمساعدة الحجاز وأهله نشر العلوم والمعارف في اقطاره والا كان وجود السكة فائدة غيرهم اولا ثم لهم ثانيا ان كانوا يصلون

---

(١) ومن الهولنديين الذين قصدوا مكة « الدكتور سنوك هرغرونية » وسمى نفسه « عبد الغفار » وديانته ما أدرى أهو مسلم حقيقي أو مسلم مجازي (الله أعلم) - والارجح نفاقه صاحب المنار

طريقة السنوسية (*)

﴿ وزواياها بين الاسكندرية ودرنة ﴾

(١)

ان الطريقة السنوسية هي من أقوى طرق الاسلام(١) انتشارا وأكثرها حصى وأشدها تماسكا . وزواياها مبثوثة في أقطار المغرب والسودان ووادي النيل والحجاز. فليس في وسعنا استقصاء ماهناك من الزوايا ولا معرفة عدد المريدين والاتباع وانما يقيس المرء مالم يره على مارآه فلنذكر الزوايا السنوسية في القطعة الواقعة بين الاسكندرية ودرنة فقط وهي الطريق المطروق للقوافل بين مصر والغرب ومسافتها على الجمل بضع عشر مرحلة

فعلى مسيرة يوم للفارس من ثغر الاسكندرية الى الغرب زاوية سيدي موسى النجاري في موقع يسمى بهيج ، وعلى مسافة ساعتين منها زاوية سيدي يادم الايرش ، وعلى مسافة نصف يوم بالتقريب من زاوية سيدي يادم توجد زاوية سيدي عبد العاطي أبي حفيظة ، وعلى مسافة يومين من هذه توجد زاوية سيدي عبد المنعم أبي شنينة وهي بمحل يقال له جيمة في نواحي الضبعة ، وعلى مسافة يوم من زاوية عبد المنعم توجد زاوية سيدي عبد الرحيم الفاخري بمحل يقال له قربوه ، ثم هناك زاوية سيدي موسى بن موسى على مسيرة ثلاث ساعات من زاوية سيدي الفاخري في محل يقال له فوكة مارة به سكة الحديد الخديوية،ثم على مسيرة ثلاث ساعات من فوكة الى جهة البحر زاوية سيدي عبد الرحيم التهامي وعلى مسيرة ساعتين من هذه على البحر أيضاً زاوية سيدي هارون بن بدر القنائي وهو من أكابر السنوسية وبعدها على مسافة ساعتين الى الغرب من جهة البحر زاوية سيدي علي بن مودد ومنها على مسافة يوم زاوية سيدي أبي القاسم الطيب وموقعها يبعد نحو ساعتين عن مرسى مطروح الى الغرب، ثم زاوية سيدي عبد القادر بن عمر على مسافة يوم منها

---

*) لصاحب الامضاء نقلا عن المؤيد عدد ٦٦٢٨ وعدد ٦٦٤٦

(١) الاسلام طريقة واحدة وكان الاولى ان يقول « طرق الصوفية في الاسلام »

ثم زاوية سيدي عمر الاوجلي على مسيرة ثلاث ساعات مما قبلها ، ثم على مسافة نحو ثلاث ساعات أيضا من زاوية الاوجلي زاوية سيدي محمد الشريف ، ومنها على مسافة يوم زاوية سيدي الشريف بن ميلود وعلى مسافة نحو يوم أيضا من زاوية ابن ميلود توجد زاوية سيدي عمران بن ابراهيم وبعدها بمسافة يوم يقع المحل المسمى بالسلوم . ثم السلوم الى الغرب بثلاث ساعات توجد زاوية سيدي محمد الشارف ومنها على مثل هذه المسافة الى ناحية الغرب توجد زاوية سيدي علي بن عبدالله وهي في موقع دفنه وفي موقع دفنه أيضا زاوية سيدي حسين الغرياني وهي تبعد نحو ثلاث ساعات عن التي قبلها وتأتي بعدها زاوية سيدي صالح الشريف مكانها على يومين من التي قبلها غربي طبرق وبعدها زاوية سيدي مرتضى فركاش على يومين من زاوية سيدي صالح الشريف ومنها الى البحر بساعتين زاوية سيدي محمد بن فارس وبعدها زاوية سيدي عبد الله فركاش على ساعتين الى الغرب وفي نفس درنه توجد زاوية الشيخ المسمى بالسنوسي الغرياني ومن درنه على يوم الى الجنوب يوجد زاويتان احداهما زاوية العزيات شيخها سيدي السنوسي الحالي والثانية زاوية المحيلة شيخها سيدي محمد الحسين

ومتى اتصل بنا علم بقية الزوايا التي من درنه الى الغرب نحو بنغازي وطرابلس أو الى الداخل من البلاد نوافي بذكرها ان شاء الله وتردنا تحققه من أخبارها . والذي تحققناه الى الآن أن أغلب العرب المنتشرين من ثغر اسكندرية الى السلوم هم من قبيلة أولاد علي المنتشرة انتشار الجراد وكلهم سنوسية لا تسمع من كبيرهم ولا من صغيرهم الا « ذكر سيدنا المهدي رضي الله عنه » وكل زاوية من الزوايا التي عددناها هنا لها نحو اثنين الى ثلاثة آلاف من الاتباع لا يدخلون مع غيرهم ولو كان الجميع أبناء طريق واحد فالجميع سنوسية ولكن اتباع كل زاوية مقصورون عليها وهم يترددون اليها ويحضرون مجالس العلم بما أمكن ويختمون القرآن العظيم كل شهر مرة في الزاوية ويعظهم خلفاء السنوسي ويرشدونهم في أمور دينهم ودنياهم .

ومن أحسن فوائد هذه الزوايا أنها بمثابة فنادق على هذا الطريق الممتد فلا يوجد سواها ملجأ للبائسين والمنقطعين ولا بمارج المسافرين ، ومشايخها لا يتقاضون أحداً شيئاً بل يتلقون كل من يفد عليهم بالترحاب ويكرمون الضيف على قدر استطاعتهم ولا وقف للزوايا غالباً من جهة بل كل شيخ من أشياخها هو قائم بعمرونها (تفقتها) مما يستغل من الاراضي التي حولها وأرض الله واسعة لا يلزمها الا حراث ، وقد يقدم أتباع الزاوية لها بعضاً من غلاتهم كالحنطة والشعير كما انه اذا فضل شيء عن الزاوية

يقدمه شيخها الى الشيخ السنوسي الاكبر في الجغبوب أو في كفره لان زاوية الاستاذ الكبير هناك عبارة عن مدرسة كبرى هي مثابة الطلبة من جميع الاقطار والضيوف والقصاد ينسلون اليها من كل حدب وليس ثمة شغل بغير العلم واقامة السنة ولا هناك بيع ولا تجارة ولا شيء يلهي عن ذكر الله فلذلك ترفد الزوايا البعيدة بفضلات غلاتها المركز الكبير للسادات رضي الله عنهم

وأما درجة تعظيم هؤلاء الجماعات لفروع هذا البيت ـ ذرية سيدي محمد السنوسي (وهم أبناء سيدي المهدي وسيدي الشريف رضي الله عنهم) ومبلغ اعتلاقهم حبالهم واستمساكهم بأسبابهم واطاعتهم لاوامرهم فما ليس له نظير في زماننا هذا . ولذلك كانت أوربة تلهج بقوة السنوسية والدول العظام يحسبون لها الحساب الكبير وفرنسة تتقدم من واداي وانكلترة ـ فيما يقال ـ تطمع أن تضم الجغبوب الى مصر، وايطالية تتقي خداع الشيخ السنوسي لتتمكن من البلاد وكل ذلك خوفاً من أن يلتف حول السنوسي مسلمو افريقية ويكون مركزه من الصحراء ومن بأس القبائل مساعداً له على تأييد الكلمة وبث الدعوة ـ ولدول المستعمرات المصابة بكابوس الجامعة الاسلامية تحب ان تستريح من طريقة السنوسي الماثل دائماً في خواطرها وربما كان ذلك سبباً لسماح هذه الدول لايطالية بأخذ طرابلس الغرب حتى يتقلص عن رأس السنوسي ظل راية الهلال فيصيبه ما أصاب غيره من الحجر والقيد ويذهب الخطر الاسلامي عن المستعمرات المأخوذة من أهلها ، وما دامت طرابلس للدولة فالسنوسي حر في زاويته من الارض وكلمته مسموعة ودعوته سارية في البسائط والدولة العثمانية في افريقية حرية بأن تجمع كلة الاسلام فيما حولها ويحدث الله بعد ذلك أمراً .

ولهذا لم يذهب الاهتمام بالشيخ السنوسي عن دهاء السلطان عبد الحميد فأرسل اليه بكانه يومئذ من الجغبوب المرحوم صادق بك المؤيد العظمي رسولا اجتباه لعلمه بانه لمثل تلك النزعة عقلا ونشاطا وحمية فشاهد في تلك الرقعة من حال السنوسي مايسر كل مسلم من قدم صلاح وحلقة درس وتأثل طاعة ونفوذ أمره ، وكتب عن ذلك رحلة نشرها رحمه الله . وبالجملة فان مايروى ومايرى من أحوال السنوسي والسنوسية يخطر بالبال ماسمعه كاتب(١) منذ ٢٢ سنة من الاستاذين الكبيرين الشيخ علي الليثي والشيخ محمد عبده رحمهما الله وهما يتناجيان في أحد أسمارهما وهو « أنه لم يبق للاسلام أمل في استئناف الحياة والنهوض أصح مما يؤمل من جانب هذه العصابة »

(١) لعله الكاتب يعني نفسه

في وأى الآن حرب طرابلس قائمة بالسنوسية وعلم كيف أن بعض قبائل من العرب يدر بها عدة ضباط من العثمانيين حصروا مدة ستة أشهر الى حد اليوم جيشا منظما بالغا عدده ١٥٠ ألف جندي كامل العدة حديث آلة الحرب ـ تذكر كلام ذينك الشيخين العظيمين الذي قالاه منذ ٢٢ سنة وعلم ان شهرتهما في العقل والعلم واصالة الرأي لم تكن عبثا . وقد حققت الايام شيئا من كلامهما وستحقق ان شاء الله أشياء

(٢)

تقدم ذكر الزوايا السنوسية المنتشرة من حدود ثغر الاسكندرية الى ثغر درنة واحصاء خمس وعشرين زاوية منها في هذه المسافة . وقد فات ذكر زاوية حوش ابن عيسى في الاسكندرية وشيخها محمد بن مالك زاوية الفيط في العامرية لاصحابها العزائم فتكون جملة الزوايا بها الى حد دونة سبعا وعشرين ومن هناك صاوت زاوية ماره شيخها سيدي عبد الله أبو سيف ، وعن ماره بمسافة ساعة ونصف ساعة الى جهة البحر زاوية بشاره شيخها سيدي عبد القادر قركاش، وعلى مسافة ساعتين من هذه الى الشرق زاوية عوينة شا شيخها سيدي الحبيب بن جلول وعن ماره بمسافة ساعة الى ساعتين أيضاً نحو البحر زاوية التراكي شيخها سيدي يوسف الجبالي ثم الى الغرب من زاوية عوينة نقا زاوية ترت شيخها سيدي محمد الغزالي والى الغرب من ترت زاوية فيدية شيخها سيدي صالح بن اسماعيل، والى الغرب من فيدية زاوية شحات شيخها سيدي محمد الدردفي وفي غربيها على مسافة ثلاث ساعات منها الزاوية البيضاء الشهيرة التي أسسها سيدي محمد السنوسي مؤسس الطريقة رضي الله عنه وذلك بجانب مرقد سيدنا رافع الانصاري رضي الله عنه وشيخ هذه الزاوية الآن سيدي العابي ، وعلى ساحل البحر غربي الزاوية البيضاء زاوية الحامة شيخها علي آخر ثم زاوية الحنية شيخها سيدي أحمد الزتاني مركزها غربي زاوية الحامة وقبلي زاوية الحنية على مسافة ساعتين ونصف ساعة منها زاوية كنفطا وشيخها سيدي حميدة بن عور وقبليها زاوية المرقوب شيخها سيدي حاد الله الجيالي وغربي زاوية المرقوب على نحو ساعتين زاوية القصرين شيخها سيدي محمد العربي ، وغربي زاوية القصرين بمسافة خمس ساعات زاوية القصور شيخها سيدي عمر المختار ـ وهومن أكبر المجاهدين بهذه الحرب ومن أعظم أركان السيف الايض أنور بك ـ والى الشمال من زاوية القصور زاوية المرج شيخها سيدي عمران السكوري من أبطال الجهاد الملازمين للعسكر العثماني وغربي زاوية القصرين الى الشمال زاوية ميراد مسعود شيخها سيدي

محمد بن حوا والى الغرب من ميراد مسعود زاوية الحامدية شيخها سيدي عبد الله الكليلي والى الغرب منها زاوية توكره وشيخها سيدي عبد الله الجيلاني وغربي توكره زاوية برسس شيخها ابن سيدي عبدالله الجيلاني، وغربي زاوية برسس زاوية دريانه شيخها سيدي الشريف العماري ، وغربي دريانه زاوية أسقفة شيخها سيدي الامين العماري ، ثم غربي أسقفة زاوية أم شخنب شيخها سيدي محمد علي بن عبد المولى تبعد عن أسقفة نصف يوم - ومن أم شخنب الى مدينة بني غازي مسافة يوم كامل - والى الجنوب من بني غازي على مسافة ٦ أو ٧ ساعات زاوية طيلمون شيخها سيدي محمد علي الحجوب والى الجنوب من أم شخنب زاوية ماسوس شيخها السنوسي الاشهب والى الغرب من بني غازي على مسافة ٤ أيام زاوية القطفية شيخها الررو والي ابن عبد اللطيف وغربيها زاوية النوفلية في مقر سيدي بحيري عن القطفية بمسيرة ستة أيام شيخها سيدي أحمد بن ادريس وغربي النوفلية بيوم ونصف يوم زاوية الزعفران شيخها ابن شميم وهي بجوار مصر سرت ثم في مصراطة زاوية أم وطن شيخها السنوسي بن عبد العال استشهد في هذه الحرب وفي زليطن زاوية بمحل اسمه زوو شيخها سيدي محمد بن عثمان بن ركه وفي نفس طرابلس زاوية للسنوسي شيخها سيدي عبد الوهاب الرماني وفي جبل طرابلس زاوية سيدي عبد الله السني وفي غدامس زاوية سنوسية وكيلها سيدي أحمد الحبيب وفي غات زاوية شيخها الحاج أحمد الناني وفي فزان زاوية مركزها بمرزوق شيخها سيدي عبد اللطيف بن عبيد وفي بلدة مزدة زاوية وفي بلدة هون زاوية وفي زويلة زاوية وفي بلدة واو زاوية شيخها سيدي محمد علي الاشهب وفي بلدة زلة زاوية شيخها سيدي الشارف الغرياني والى الغرب منها زاوية سوكنة شيخها سيدي الشريف حامد وفي أوجلة زاوية شيخها سيدي عبدالله الفضيل وفي جالو زاوية العرق شيخها سيدي عبدالله التواتي وفي جالو ايضا زاوية اللبة وكيلها الشيخ غيث فريطيس والى الجهة البحرية منها زاوية شخرة شيخها سيدي محمد صالح وزاوية الجغبوب الكبرى مركز السادة السنوسية الشهير هي على مسافة يوم واحد من زاوية شخرة الى ناحية الشرق وفيها نحو ٣٠٠ شخص من مدرسين وطلبة وعلى مسافة ٣٠ يوما على الجمل الى الداخل الكفرة مقر السادة الان فيها الزاوية المسماة بالتاج من أكبر زواياهم تواحي زاوية الجغبوب وهي كرسيهم الحاضر وفيها مئات من العلماء والمريدين والطلبة وفي الكفرة أيضاً زاوية يقال لها الجوف الوكيل عن السادة فيها سيدي عبد الهادي الفضيل وعلى مسافة ٥ ساعات منها زاوية الهواري شيخها

سيدي الفضيل السوسي وفي غربها زاوية ربيانه تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن الكفرة وكيلها سيدي حسين بزامه وفي غربها أيضاً زاوية تزربو تبعد عن الكفرة مسيرة ستة أيام شيخها الفاضل العلامة الحبر الفهامة السيد المدني من تلاميذ سيدي محمد السنوسي الكبير مؤسس الطريقة وهو تلمساني الاصل. ومن الكفرة الى الجنوب صحراء سحيقة منقطعة الاوصال مترامية الاطراف وعلى مسيرة ١٧ يوما فيها الى ناحية عبلة زاوية «وجنقة» شيخها سيدي عبد ربه البرعصي وهي أول بلاد السودان وبقرب هذه الزاوية زاوية وجنقة الصغرى وهي تحت نظارة الشيخ عبد الرازق الفاخري والى القبلة منها زاوية بدادي تحت نظارة الشيخ عبد ربه السابق الذكر وعن وجنقة الكبرى بمسافة ٣ أيام الى الغرب زاوية قرو وفيها نحو ٤٠٠ مريد من التيبور وغيرهم وشيخها الفاضل الاديب الفقيه المحدث المفسر سيدي محمد بن عبدالله السني والى الغرب منها بمسافة ستة أيام ثغر كلك آخر الحدود العثمانية الآن فيه زاوية يقيم بها الشيخ الفاضل المجاهد المثاغر المرابط سيدي عبدالله الفضيل الزووي وفيها نحو ٧٠٠ رجل من أتباع السنوسي والى الجنوب الشرقي منها زاوية «ون» على مسافة يوم ونصف يوم من ثغر كلك وشيخها سيدي المهدي السني وبها نحو ٥٠٠ رجل من أشداء السنوسية ومن كلك الى مرزوق ـ قاعدة فزان ـ مسيرة ٢٠ يوما وما في هذه المسافة من عمار وقفار مأهول كله بأتباع السنوسي ولهم فيها المراعي والحاوث والاشجار والنخيل وهناك مركز أيضاً فيه حكومة عثمانية اسمه « تيبستي » ثم ان في بلاد نوات من غرب الاقصى زوايا عديدة سنوسية وفي تطاون شرقي طنجة زوايا واتباعا وفي سائر بلاد الغرب أيضا سنوسية يتكتمون جدا مع وفرة عددهم خوف الحكومة الاجنبية التي هي شديدة الوطأة على مريدي هذه الطريقة . هذا وفي ضمن الحدود المصرية عند سيوة على مسيرة ٣ أيام الى الشرق من الجغبوب ثلاث زوايا للسنوسي . الاولى زاوية القديمة وكيلها سيدي يوسف بن عبدالله بن أحمد ، والثانية زاوية بني معرف شيخها سيدي محمد بن عبدالله ازوين ، والثالثة زاوية اغرمي وكيلها أحمد حيري ، وفي سيوة املاك وأوقاف للسادة والى الشرق من سيوة على مسيرة ٦ ساعات زاوية حصبة الزيتون مختصة بالسادة أنفسهم وكيلها سيدي علي ابو دربالة وشرقي زاوية الزيتون هذه على مسيرة يومين زاوية القارة وكيلها ولد سيدي مبارك ومنها على مسافة ٦ أيام الى الشرق أيضاً زاوية الفرافره شيخها سيدي السنوسي بن خالد وشرقي

الفرافرة في الواحات زاوية سيدي محمد الموهوب ، وفي الواحات الداخلة زاوية سيدي صالح البراني ثم زاوية سيدي المبروك وهي في أرض ذات جنات وعيون وبعدها زاوية سيدي عبد الملك الموهوب ومن هناك قربت أرض الفيوم ، وفي الفيوم زاوية سيدي عبد العال السنوسي . هذا وبالحجاز زاوية عظيمة في جدة لها أملاك وعقارات وزاوية أبي قبيس في نفس مكة المشرفة ويوجد في الطائف زاوية وفي طريق المشاربة الصفراء والجديدة زاوية وفي بدر الشهداء زاوية وفي ينبوع البحر زاوية وفي ينبوع الوحه زاوية، ويوجد للسنوسي زاوية عظيمة في كانو من بلاد السودان واتباع كثيرون في أم درمان وبالاجمال فكل زاوية من هذه الزوايا لها أتباع ومريدون من ٣ آلاف فما فوق عدا المريدين المحسوبين بعشرات الالوف مثل أهالي درنة عموما وأهالي المرج وأهالي بني غازي وأهالي جالو وأوجله ومثل أهل مصراطه قاطبة وتاورغا وورفلة بأجمعهم ومثل سكان زلطن والخمس ومسلاتة والعزازين وحل غريان فكل هؤلاء هم تحت الدعوة وهم أكثر أهالي هذا البر ولم يكن هذا الاحصاء ليحصر عددؤلاء الطريقة ومن ا كثرها . هذا هو نقطة من بحر مأخوذة عن بعض ثقات الشيوخ من آل البيت السنوسي نفسه ومن كبار الطريقة وستمتد هذه الشجرة المباركة وتتشعب ان شاء الله في جميع ممالك الاسلام النافذة تحت ظل أمرائه لاسيما بعد هذه الحرب التي ظهر فيها فضل السنوسي وأتباعه وكان لهم اليد الطولى في حفظ شرف الاسلام لا بل في حفظ موازنة السلام (زيد الخير)

اهمية الاسلام

ما زال الاوربيون منذ ولوا وجوههم شطر العالم الاسلامي واستبدلوا الخطة السلمية بالخطة العدائية في استعمار البلاد الاسلامية يجثون ويفتشون عن الوسائل الموصلة الى مطلوبهم من أقرب الطرق بحيث يأخذون البلاد بدون حرب على طريقة الاستعمار أو الحماية ، وان أكثر دول أوربة رقياً أقلها اهتماماً باسم السلطة والالقاب الضخمة فالانكليز والفرنسيون مثلا يرضون بان تكون البلاد التي تكون تحت سلطهما استعمارياً أن تكون ذات ملك أو باي أو راجا أو سلطان وما اشبه ولكن مثل روسية لا يرضيها الا ازالة الشكل والصورة ، ثم أن الامم الحية كل آمال أفرادها موجهة لمصلحة أممهم

كل يسير من طريق والغاية الاستئثار بمصالح ومنافع الشرق واستعباد أهله واستخدامهم، خدمة غردون لاسماعيل باشا الخديوي الاسبق وخدمة كثير من ضباط الجيش البريطاني والالماني في الجيش العثماني وغيرها من الخدمات الادارية والحربية كلها لمصلحة اولئك الخدمة الصادقين انفسهم ولأممهم، وكذلك النصائح الحربية والادارية التي توجه الى امراء الشرق وحكامه وقواده مثل نصيحة سفير المانية لحقي باشا بنقل الجيش من طرابلس الغرب الى اليمن ونصيحة قنصل الانكليز في البصرة لواليها سليمان نظيف باشا بتأديب الشيخ خزعل صاحب المحمرة وانتهاء ذلك التأديب باعلان الحماية البريطانية على ذلك الشيخ وبلاده - كل هذا وما سبقه ولحقه من النصائح الفرنسية التي كانت تلقى لباي تونس والنصائح التي كان الاوربيون يرشدون بها العرابيين وكذلك ما كان يتلقاه مصطفى كامل باشا من النصائح الاوربية لتأييد المقاصد الوطنية المقدسة التي هو واعقابه من أنصارها - كل هذه الارشادات من آلات الفتح الاستعماري الجديد

ثم ان العلماء الاجتماعيين لم يفتهم قسطهم من هذه الخدم لاممهم فكتاب الاسلام لمسيو هنري دي كاستري ومدنية العرب لغوستاف لوبون وما يكتبه وينشره العلماء الاوربيون في مدح الاسلام وتقريظه وبيان مرونته وتأثيره في نفوس المسلمين والكلام في مسمى الجامعة الاسلامية وغير ذلك مما يكون معظمه ان لم نقل جميعه معاول لهدم الجامعة الاسلامية وتنبيه دولهم الى ما بقي في الشرق من القوة الادبية بعد أمنهم جانب حكوماته لضعف وانقلاب شكلها الى ما يضعف تماسكها ويضمن انحطاطها تدريجياً بسرعة دخول الاوربيين في جميع شئون الشرق وانطلاق دعاة النصرانية يجوسون خلال الديار الخ ومن ذلك ما نشره جواكيم دي بولف في مجلة (دي هايف) الالمانية تحت عنوان «اهمية الاسلام » ولخصته عنها جريدة المؤيد الصادرة في ٣ ربيع الاول سنة ١٣٣٠ وهو :

« يتبادر الى الاذهان من جهات عديدة انه سيأتي على الاسلام بعد قليل زمان لايحسب به أحد للاسلام حساباً وانه جدير بالدول الاوربية ان لا تعيره من الآن مساعداً جانب الاهتمام اذ لم يبق له معلا دولة سياسة دينية في الشرق وعلى وجه خاص في أفريقية .

« وتأييد مثل هذه الافكار ينشأ عن تشاؤم وتفاؤل عظيمين يختلفان باختلاف وجهة النظر الا ان هذا لا ينطبق على حقيقة الواقع لان المسلمين في العالم اكثر عدداً من المسيحيين وحركة التبشير عندهم أيسر من أعمال المبشرين المسيحيين في البلاد الشرقية

« ولما كانت قواعد وأصول الدين الاسلامي تنطبق على الشكل الذي يرد فيه من الممكن في كل وقت أن يتولد من الاسلام عامل سياسي ذو أهمية قصوى وهذا

لايحتاج الا الى وجود رجل يعرف كيف يستميل هذه الجماهير ويبث فيها الحمية والحماس

« والموضوع الذي أخوض فيه الآن لايتناول الاسلام من حيث أهميته السياسية والدينية بل يقتصر على وجه خاص من هذه الاهمية - وقد ترك في زوايا النسيان - الا ان لهذا الوجه شأناً عظيماً خصوصاً في أعين أوربة وهو عامل جدير بالانتباه وهو تشمل الواجبات الصحية التي فرضها الاسلام . وقد امتاز القرآن (الشريف) بالخوض بها عن سائر الكتب السماوية

« لو تأملنا حكمة الواجبات الصحية في القرآن (الشريف) وما لها من الاهمية الكبرى بجعل الجنة نصيباً للذي يعمل بها لا تضح لنا انه لولا الاسلام لاصبح الشرق الذي هو بؤرة الاوبئة أكثر خطراً على أوربة بكثير مما هو الآن (؟!) وتبين لنا أن مناوأة الاسلام ومناضلته هي بمثابة قطع فرع الشجرة الذي يتخذه الانسان متكأ وسنداً

« وأي حكمة أمتن وأظهر من فرض واجبات الوضوء وما يترتب عليها من غسل الجسم من أعلى الى أسفل وتنظيف الفم والوجه ؟ والشرط الاكبر للقيام بهذه الواجبات هو استعمال الماء الجاري (*

ولقد جرى النبي محمد على شاكلة موسى (عليهما الصلاة والسلام) فأدرك خطر مرض « تريخنين » في الخنزير ، والحمى العفونية والهيضة الوبائية في الحيوانات المحارية (ذوات الاصداف) ولذلك نرى كيفية ذبح الحيوانات هامة جداً خصوصاً في الشرق نظراً للحرارة التي تفسد الدم ووجود أمراض فتاكة منشأ جراثيمها الامراض الحيوانية

« ثم أن ماهية الحركات والتمرينات الجسمية في الصلوات كماهية التمرينات الرياضية التي يهتم الناس بها في عصرنا هذا والسجود ومد الذراعين والاعضاء سبب من أسباب قلة السمن في الشرق

وتعدد الزوجات خير واق من قلة النسل ومن الامراض التناسلية وعلى العموم لا يوجد في الشرق بنات مسنات معرضات للتشنج العصبي (الهستريا)

« وان تحريم شرب المسكرات الذي أتبع به المراكشيون شرب الدخان حسنة من حسنات الاسلام يجدر بنا - نحن الشعوب الاوربية التي تدعي المدنية - أن نحسد المسلمين عليها

« وان الازدراء بالحياة المبني على زيادة اليقين بالله والاهتمام بالصحة لا يقصد

(*) الاولى ان يقول « الطهور » وهو الماء المطلق الذي لاخبث فيه ولانجس ولاشيء يمنع اطلاق اسم الماء عليه

محافظة على الفرد هما الوسيلتان لبقاء مجموع قوى البنية صحيحا سالما

« واذا كان الشرق بقي متفوقاً في بعض الامور ومقصراً عنا في أمور كثيرة فذلك ناشئ عن أسباب خصوصية أهمها اختلاط الاجناس التي هي ضيقة الملاقة بالاسلام وتأثير العناصر الاجنبية على الجامعة العربية بطريق التزوج من نساء الاقطار الاخرى بدون انتخاب ولا تنقيح . اذ قضت سنة الطبيعة التي لا مبدل لها أن يكون نقاء الجنس شرطاً في كماله

«وعلى كل فلقد ظهر نفع وقدر التعاليم الاسلامية خصوصا من حيث اختلاط الاجناس وبما انه لا يمكن ابادة شعوب الشرق بدون ابادة غيرهم فاذا أردنا أن نتساءل: ما يمكن ان يكون مصير هذه الشعوب من جراء تأثير الاسلام عليها؟ فأجدر من ذلك أن نتساءل أيضاً ماذا كان مصيرها لولا الاسلام :

«ولا يقتصر الامر على هذه الشعوب بل الاحرى بنا أن نتساءل ونعلم ماذا كان مصيرنا لولا المدنية الاسلامية، ان واجب الاعتراف بالجميل يحتم علينا أن لا ننسى كون علومنا ومعارفنا مقتبسة من العلوم والمعارف العربية وانه لم يحصل لنا معرفة فلسفة أرسطو الا من النسخ اللاتينية التي ترجمها العرب الى لغتهم قبل أن نعثر على الاصل اليوناني بمدة طويلة

«واذا تبادر الى ذهن أحد ان في خلال القرون الوسطى ارتشاف لبان العلوم كان بولي وجهه شطر الاندلس ولا يزال الى وقتنا الحاضر يمكن اقتباس أمور شتى من العلوم السياسية الاسلامية وليس من الضروري مقاومة الذين يحاولون مناوأة الاسلام لانه يتعذر مناطحة الاسلام من حيث هو دين والبرهان على ذلك فشل المبشرين الذين أرادوا البلاد الاسلامية ولم يصلوا الى نتيجة حسنة . ثم أن هنالك أسباباً شديدة تجعل مناطحة الاسلام سيئة العاقبة بغض النظر عن فوائده من الوجهة الصحية

« ولا يجب علينا ازدراء حركة الجامعة الاسلامية والانكليز والفرنسيون واقفون على حقيقتها ويعرفون كيف يتمتعون منها وهاتان الامتان والايطاليون مهما قلبوا للمسلمين ظهر المجن وظهروا لهم بمظهر عدائي بينما هؤلاء يعتبرون المانية منقذة لهم »

ثم اختتم الكاتب مقالته باسدائه النصح الى المانية بالمحافظة على هذا النفوذ ولو لمصلحتها التجارية في الشرق وفي المستعمرات الالمانية الافريقية التي يسود فيها العنصر العربي اه والمقصود من مقالته هذه خدمة الامة الالمانية وتنبيهها لما يسمى بالجامعة الاسلامية متأخذ قسطها من تراث العليل وتحتفظ بما لديها من الغنائم الباردة (المستعمرات)

صالح مخلص رضا

﴿ ابن تيمية ولوتر ﴾

جاء مايأتي في مجلة (شورا) التاترية من عدة اشهر تحت هذا العنوان

ان في شروطنا بكتابة مقالة قارنا فيها بين اسم عالم نصراني واسم عالم مسلم سببا . واذا عرف السبب ، لا يبقى محل للعجب . كان ظهر في مملكة المانية راهب اسمه لوتر ولد بعد مائة وخمس وخمسين سنة تقريبا من وفاة ابن تيمية وشرع في اصلاح النصرانية وارجاعها الى ساطتها الاولى وحفظها من البدع والخرافات . وذلك الرجل هو رئيس المذهب المشهور اليوم بمذهب لوتر او البروتستانت .

أتم لوتر باجتهاده وغيرته المشروع الذي قصده ورأى منه ثمرة تعبه وكون خدمته مرعية الجانب بين الناس . والآن جم غفير من النصارى ينتسبون الى مذهب لوتر اليوم وهم البروتستانت

كان علماء يهود الذين أسلموا يكثرون من رواية الاسرائيليات وعشاق الخرافات والمبالغات من العجم لم يتركوا بعد اسلامهم المبالغات والخرافات التي تربوا عليها ، فلهذا او ذاك كثرت البدع في الاسلام وانتشر بين الناس كثير من العادات باسم الدين . وقد ظهر في عالم الاسلام كثير من المجاهدين والمصلحين جاهدوا في سبيل ازالة البدع، واحياء سنن رسول الله (ص) جهادا كبير واجتهدوا في ارجاع الاسلام الى صفوته الاولى في زمن السلف ، وازالة التفرقة من بين المسلمين وجمعهم على اعتقاد واحد وعلى صراط مستقيم . وكان ابن تيمية من كبار هؤلاء المجاهدين

لاتوجد مناسبة بين ابن تيمية ولوتر في المذهب والدين، ولا في القوم والقبيلة، ولا في المكان والزمان . ولكن توجد مشابهة بينهما في المقصد والمسلك فقد كان ابن تيمية يجتهد في حفظ الاسلام من البدع والخرافات . كما ان لوتر كان يشتغل باصلاح النصرانية . ولكن لامشابهة بينهما في احتمال المشقات في حال من الاحوال . حقا أن لوتر صادف في سبيل اصلاح النصرانية . بعض الصعوبات . ولكن ماناله حري أن يحسب حظا وسعادة بالنسبة الى ما احتمله ابن تيمية من المشقات . علا لوتر على أعدائه وغلب عليهم في العاقبة ، أما ابن تيمية فقد توفي تحت قهر أعدائه .

اذا صح القياس والنسبة بين هذين الرجلين في العلم والكمال او لم يصح فهو

لا شك يصح في العلوم المتعلقة بالديانة النصرانية وحدها ، وأما في العلوم الاخرى فالفرق بينهما «بناء على شهادة أربابه » كالفرق بين السماء والارض ، بل لابعد لوثر مطيرا لابن تيمية في العلوم المتعلقة بالديانة النصرانية نفسها ، ويدل على ذلك استدلال العلماء من النصارى على كون انجيل برنابا موضوعا ومصنوعا من طرف الاعداء بعدم ذكر ابن تيمية لذلك الانجيل (١)

لو كان لوثر أكثر علماء النصارى وثوقا في العلوم المتعلقة بالنصرانية بالنسبة لابن تيمية لاستشهد العلماء في هذه المادة بقول لوثر بدل ابن تيمية ، فاذا كان ابن تيمية لم يذكر انجيل برنابا فكذلك لم يذكره لوثر . ولو كان انجيل برنابا معروفا عند لوثر لكان اقامه عدة وآلة قوية امام اعدائه من الكاثوليك .

كان ابن تيمية ينهى الناس عن الاستمداد من الموتى وزيارة قبور الاولياء بقصد اتخاذهم وسطاء عند الله يدعون وأطلب منهم الحاجات وعن دفع النذور عند القبور وكذلك اجتهد في حماية الاسلام من تجاوز الفلاسفة وكتب في ذلك كتبا عديدة وتباحث مع الشيعة والروافض (ورد على الجميع في كتب حافلة) وكان يدعو الناس الى سنة رسول الله (ص) ولكن اهل زمانه ماعرفوا قيمة تلك الخدمة الجليلة منه في الاسلام بل بهتوه بالباطل وافتروا عليه الكذب، فتلك البلايا والمحن خرج ابن تيمية من الدنيا. كان لوثر يجيب أعداءه بعبارات شديدة حتى استعمل في بعض الاوقات ألفاظا مغايرة للادب وأما ابن تيمية فكان يتغافل عن اذى اعدائه ويحمله ويظهر لهم الترفع عن السفاسف وكان لايخاصم أحداً في خاصة نفسه . فلأي سبب لم يتيسر لابن تيمية اجتناء ثمرة جهاده والحال ان لوثر وفق لذلك وما هو السبب الظاهر في ذلك ؟

الافكار مختلفة في جواب تلك المسألة كل أحد يفكر في ذلك على قدر مايصل اليه فكره ويعرض له من السبب ونحن نصرف النظر عن التفاصيل نجمل تلك الافكار المختلفة واحدا بعد واحداً تحت الارقام هكذا :

١) كان بناء سعي لوثر في أمره على أساس متين فانه عرض مشروعه أولا على

(المنار) : ان استدلوا بعدم ذكر ابن تيمية له في رده على النصارى على انه ليس من وضع المسلمين وكذا بعدم ذكر ابن حزم له وهما اللذان كانا أوسع علماء الاسلام اطلاعا فلو كان هذا الانجيل من وضع المسلمين لوجد عندهم ولاستدل به هذان على التوحيد وعدم صلب عيسى ونبوة محمد عليهما السلام

الملوك والامراء حتى وفق لاستمالتهم اليه وبعد ذلك تمايلت الافكار اليه من تلقاء نفسها.
وأما ابن تيمية فهو لم يتقرب من الملوك والامراء ولم يبال بعداوتهم ولا بصداقتهم ولا داراهم ولم يهتم بالتفاتهم قط واعداؤه انتهزوا منه تلك الحالة وسعوا به لدى السلاطين والامراء حتى قام عليه العلماء والامراء بالاتفاق واحدثوا له اشكالا من المصائب.

٢) المطبوعات والمطابع، كان لوثر ينشر أفكاره بالمطابع ويطلع الناس عليها قبل مضي الشهر وينتقدونها اذا كان هناك محل للانتقاد او يصوبونها. أما ابن تيمية فلما لم توجد صنعة الطباعة في زمنه لم يطلع على افكاره الا أفراد قلائل وكثير من افكاره حرف قصداً من طرف اعدائه وبذلك كانت الحقيقة تبقى في طي الخفاء

٣) الاحوال المتعلقة بذات لوثر أو ابن تيمية ليست سببا في ذلك بل السبب الحقيقي الطبائع والاحوال الروحية التي وجدت مع الخلق (روح العصر) لان لوثر ظهر بين الاوربيين المستعدين الذين يفهمون الكلام ويعرفون قيمة العالم والعلم والحال ان ابن تيمية ظهر بين أهل الشرق الذين يشتغلون بالشخصيات ويمضون بأقل شيء ويتبعون العامة في الافكار لذلك عرفت قيمة لوثر ولم تعرف قيمة ابن تيمية

ليس لنا نية في المعادلة والترجيح بين تلك الافكار (وفي الاصل عما كتبنا) فنحن ما قيدنا في الجنة الا الذي سمعناه من الافكار سواء كانت خطأ أو صوابا والميدان واسع للذين يريدون البحث والانتقاد ولا يجوز أحداً قلة الكلام.

ومع ذلك نحب الاشارة الى ان كل عمل بين الاوربيين يكون في أيدي أربابه وفي الشرقيين على عكس ذلك، فلاهم ينالون فضيلة اختيار ماهم مستعدون له من الاعمال ولا هم يتوطون الاعمال بأربابها المستعدين لها الا على سبيل الندور، فالعملة يزاحمون العلماء الكبار ويشاركونهم في الاعمال الخاصة بهم، والجزارون يتكلمون في وظائف المهندسين. اه

(الموصل) و(بغداد) و (البصرة) و (البحرين) و (الشيخ عثمان) و (عدن) وعند ما يرحل الاطباء جائبين في البلاد يبذرون في النفوس بذورا يمكن للمبشرين وبائعي الكتب ان يتعهدوها بعد ذلك وينمو غرسها

والتعليم المدرسي والتربية الاخلاقية اللذان يعنى بهما المبشرون قد أسفرا عن نتائج جمة وأثمرا ثمرات نافعة في الاطفال والمراهقين على السواء

قال القسيس زويمر : انه جمع تلاميذه المسلمين مرة ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الارضيه ثم حول عليها نوراً قويا وبرهن لهم بذلك على كون الامر بصيام شهر رمضان ليس آتيا من عند الله لانه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد (؟!)

وقال أيضا : ان المحاضرات التي يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحري والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام - كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستاني .

وقال المؤلف عن نتائج أعمال المبشرين في بلاد العرب : ان من المتعذر تعيين نتائج هذه الاعمال الخيرية ، الا أن مما يدعو الى الاغتباط والسرور أننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا في كل منطقة من مناطق التبشير . فالاوهام تبددت وحل محلها التسامح والاهتمام الحقيقي بالتعاليم النصرانية . وفي كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والكراسات والمجلات . ويهتم المبشرون الآن باقامة مستشفى في الشيخ عثمان لانه بينما كان عدد المرضى الذين عرضوا أنفسهم على أطباء المبشرين يبلغ ٢٠٠٠ صاروا الآن ٤٠،٠٠٠ (١)

مملكة فارس :

أنشأ القسيس (سن كلير يسدال) تقريرا عن التبشير في فارس وهو لا يختلف عن التقارير المتعلقة بتبشير البلاد العثمانية من حيث قلة مادته

(١) المنار : تسمي العرب طبيب العيون الموجود في الشيخ عثمان « المنوي » وكذلك تسمي الداعيات النصرانيات اللاتي في عدن « المنويات »

« اعتاد البعض ان ينسبوا هذه الحوادث المكدرة الى الافراط في المشروبات المبردة التي تشتد الحاجة الى استعمالها كلما زادت درجة الحرارة . لاينكر أحد تأثير هذا العامل المهم في حصول هذه الاعراض وانما هناك عوامل لاتقل اهمية عن الاول ويزعم المسيو دي فليري انها تؤثر ولا محالة في الاغذية الحيوانية كاللحوم سواء كانت مذبوحة حديثاً أو محفوظة في العلب (معلبة) وذلك انه يعجل اختمارها ويولد فيها المواد السامة علاوة على مايصيب الغدد الباطنة كالكبد والكلى والمعدة والمعى من الاضطرابات الشديدة التي تضعف الافرازات الضرورية لهضم الطعام وامتصاصه فينشأ عن ذلك تعب شديد يؤهل الجسم للنزلات المعدية المعوية كالدوسنطارية والكوليرين ـ وما أكثر انتشارهما في هذه الايام ـ فتضعف حركة الهضم وتقل شهية الطعام كما يشاهد عادة في الراشدين اجمالاً كانوا أو مرضى ولا سيما في الاطفال ـ الذين تزيد وفياتهم جداً ـ عن ماسبقها في مقالة أخرى

« فاذا كان تأثير الحر في بعض المواد الغذائية والغدد الباطنية أمراً ثابتاً لايجوز الارتياب في صحته وجب علينا ان نتبع في غدائنا طريقة تكون مثال الاعتدال والانتظام فنتجنب على قدر الامكان في زمن الصيف اللحوم والاسماك والمواد الشحمية التي تعيق وظيفة الهضم وكذلك البيض والحليب اللذين يعسر هضمهما في كثير من الاحيان ونستعمل البقول والفاكهة واللبن الخاثر الذي من مميزاته تقوية وظائف الهضم

« أما المشروبات المثلجة فيجب الاعتدال في تعاطيها من حيث كميتها ونوعها ودرجة برودتها . فاذا شعرنا بالحاجة الى الشرب يجب ان يكون شربنا قليلا ودرجة برودة السائل الذي نشربه معتدلة والكمية التي نشربها كل دفعة قليلة بحيث لاتتعب المعدة. ومن المرطبات التي يمكن تعاطيها في هذه الايام ماء عرق السوس وشراب التمر الهندي، اما شراب الليمون (واعني الليموناضة) فلا نرى فائدة بالاكثار من استعمالها بالكمية التي نشاهدها الآن لانها تزيد حموضة المعدة فتؤخر حركة الهضم . علاوة على انها لا تروي ظمأ تاماً بل تزيده عطشاً وكثيراً ماتكون سبباً في مايسمونه تمدد المعدة

اما المشروبات الروحية والمسكرات فممنوع تعاطيها على الاطلاق ليس في البلاد الباردة فقط بل في بلاد حارة كبلاد مصر أيضاً

عدد التلاميذ في المدرسة التبشيرية في طهران قبل سنتين فقط ٤٠ الى ٥٠ فصاروا الآن ١١٥ وكلهم يتلقون التربية النصرانية بكل اتقان . وكذلك الحال في مدرسة تبريز التي يديرها هذا القسيس فقد كان فيها ٣ تلاميذ من المسلمين ثم صاروا ٥٠ومثل ذلك مدرسة أورمية فان فيها ٥٠ طالبا وفي مدرسة البنات ٣٥ تلميذة. وفي مدرسة البنات في طهران ٢٥ تلميذة

وأنكر مبشر آخر على صاحب التقرير قوله: ان البهائيين يتقربون من التوراة اكثر من غيرهم . وزاد على ذلك انه لا يوجد من يعتبر البهائيين اسمى اخلاقا من المسلمين بل الحقيقة على عكس ذلك .

صومترا

يمتاز التقرير الذي وضعه أحد قسس الالمان عن مبشري هذه البلاد بدقته في الكلام عليهم وبيان أعمالهم بالارقام ومماقاله : ان جمعية المبشرين الالمانية نصرت مئة شخص منذ تأسست سنة ١٨٧١ الى وقت كتابة هذا التقرير . ولجمعية التبشير الهولاندية فقط أن تبشر على الساحل الشرقي من الجزيرة . والذين نصرتهم لجنة تبشير جاوة ٥٠٠ شخص منذ سنة ١٨٦٠ . وأما (جمعية رينس الالمانية) فتفوق على تلك باتساع نطاق أعمالها لان لها ٣٦ فرعا أربعة منها لتبشير المسلمين بوجه خاص . وقد تمكنت من تنصير ٦٠٠٠ مسلم ولديها الآن ١١٥٠ مسلما في دور التجربة ولجمعية التبشير بالتوراة -وهي انكليزية- مندوبون في مناطق أعمال الارساليات الالمانية يبيعون الكتاب المقدس .

وقد تحسنت خطة هولندة مع المبشرين عما كانت عليه في اواسط القرن الماضي فصارت تشد أزر المبشرين وتساعد مدارسهم وارسالياتهم الطبية وتعد ذلك من عوامل نشر المدنية

والمبشرين هنا ثمانون كنيسة وأدخلوا بينهم من الوطنيين خمسة قسس وسبعين مبشرا هذبوهم في مدارس خاصة بهم . وارساليات التبشير تجبي من

اخبار العالم الاسلامي

﴿ رقي الافغان ﴾

« بالصناعة الحربية وغيرها »

نقلت بعض الجرائد العربية شيئاً من احوال رقي الامة الافغانية عن جريدة (سراج الاخبار) الافغانية التي تصدر في كابل عاصمة الافغان في الصناعة الحربية وغيرها في تلك البلاد ولخصته عنها جريدة الحقيقة . فأحببنا نقل ذلك التلخيص لقراء المنار قالت جريدة سراج الاخبار

«ان كل أمة منقسمة الى طبقات عديدة كل طبقة لها وظيفة تؤديها نحو أمتها وكلما ارتقت القوة العسكرية فيها وانتشرت المدنية تعددت الامة ونالت حاجياتها ووصلت إلى درجة من الرقي لا يتوصل التصور اليها

«وما الصناعة الا بحر خضم كثرت فيه الدرر كلما ارتقت القوة المفكرة استخرجت منه تلك الدرر النفيسة التي لا مثيل لها أو كصحراء واسعة لا نهاية لها يسير فيها الانسان سيراً حثيثاً وكلما مشى خطوة عثر على جوهرة يتيمة

«ولا ريب ان العقول ما دامت مطلقة السراح لتجول في ميدان المخترعات سيأتي زمن نرى فيه رؤوسنا مملوءة بالمدهشات والغرائب

« والامة لا ترقى إلا على قدر رقي صنائعها من جميع الوجوه فثروتها وتجارتها على قدر رقيها في الصناعة

«التفت أميرنا المعظم الى الصناعة فقدرها قدرها وأنزلها في المحل الذي هي أهله ومنذ جلس على عرش الامارة أعتنى بها اعتناء تاماً حتى ملغت شوطاً بعيداً وأصبحت كابل تفتخر كما تفتخر أوربة وأميركا بصنائعها

(قالت الحقيقة) وقد افتخرت (سراج الاخبار) بان تطلع قراءها على ما أخرجته المصانع الافغانية بهمة أميرها المحبوب واليك البيان

الاسلحة الحربية

« أما الاسلحة الحربية التي تعملها المصانع الافغانية فهي تنقسم الى عدة أقسام أسلحة ثقيلة مثل المدافع، وأسلحة خفيفة مثل البنادق، وأسلحة جارحة مثل السيوف والحراب والسنك

« ولم يكن القصد من انشاء تلك المصانع الا استحضار الآلات الحربية وقد أسسها المرحوم الامير السابق وجعلها تحت نظارته ، ولما توفي وخلفه ولده وجه عنايته إليها فهي في رقي دائم

الاسلحة النارية

(١) المدافع الصحراوية (٢) المدافع الجبلية (٣) مدافع الاستحكامات والقلاع (٤) مدافع زودفير غرابين (٥) بنادق مرتين للجنود المشاة (٦) بنادق نمرة ٣٠٣ للفرسان (السواري) والمشاة (٧) بنادق لراكبي البغال (٨) بنادق بثلاث عشرة رصاصة (٩) بنادق بست رصاصات (١٠) بنادق للصيد

الاسلحة الجارحة

(١) حراب حديدة للجنود (٢) سيوف للفرسان (السواري) (٣) حراب (سنك) لوضعها على البنادق (٤) خناجر وحراب صغيرة وسكاكين للجنود عموماً

الذخائر الحربية

الرصاص المسمى (بور) و (كاردبد) وهو من أحسن الانواع التي اخترعت الى اليوم

البارود الاسود وغيره وهم يعملان بمهارة عظيمة . كما أن المصنع مستعد لاخراج العدد اللازم من القنابل اللازمة للمدافع في أي وقت من الاوقات

ويصنع منه الشرابنل والقسم المسمى جودتي

الصنائع المختلفة

تصنع المصانع جميع الملابس اللازمة للجنود والضباط وما يلزمهم من الاوسمة (النياشين) وغيرها وجميع لوازم الجيش البري من خيام وأعلام .الخ كما انها تصنع جميع الآلات الموسيقية اللازمة للجيش

« وهناك صناعات أخرى مثل تبييض الارز . عمل السكر النقش وسك النقود . استخراج الياقوت . الزمرد والمرجان من معادن الافغان النقش على المدافع والبنادق . دبغ الجلود وغير ذلك »

***

بعد ثبات ما من اطلاعنا على مقالة الحاج ميرزا عبد المحمد مدير جريدة «چهره نما» الفارسية التي تصدر في مصر نشرها في المقطم تحت عنوان (أفغانستان وسمو اميرها) ملخصة عن جريدة

سراج الاخبار، وقدقدم لهذه المقالة مقدمة عمرانيةذكرفيها مختصرجغرافية الافغان فذكر حدودها الاربعة وهي شرقاتمالكةايران وغربا بلاد الهندوجنوبابلوخستان وشمالا تركستان الروسية وامارة بخارى، وذكران مساحتها ٢١٥٠٠٠ من الاميالالمربعةوان عدد سكانها عشرة ملايين وانها تنقسم الى سبع ايالات وهي كابل وفيهاعاصمةالامارة والايالة الثانية كافرستان في الشمال الغربي لكابل ، والثالثة هزاره وفيهاتقطن طائفة هزاره ، ورابعها قندهار ومن ضواحيها كارات غليجاني وفرآه ، وخامسها هرات وهي على ساحل هري رود وتوابعها سبزار واديه ، وكرخ ، وسادسها سيستان التي تتصل بسيستان ايران ومن بلادها المعروفة لاس جنحانسون، وسابعها تركستان الواقعة على الحد الشمالي من جهة تركستان روسية ، وذكر عناية الافغان بالصناعة والعلم بما يشبه ماصر عن الحقيقة وزاد بان انواع البنادق منها نوعان من اختراع الافغان انفسهم وان من الاسلحة ماهو مرصع بالجواهر وان آلات الصناعة تدار عندهم بالبخار وانهم بصناعاتهم اصبحوا اغنياء عن جميع الممالك بحيث ان كل مايلزم لهم يصنع في مصانعهم وانواع المصنوعات الافغانية ثلاثة سبعة وعشرين نوعا ومنها استخراج الكحول (السبيرتو) ودبغ الجلود اه

﴿ شيء من عوائد مسلمي الصين الدينية ﴾ [1]

(لكاتب جريدة وقت في منشورية عناية الله أحدي)

أئمة مسلمي الصين

تعيين الامام للجامع عند مسلمي الصين يكون برضا الاهالي كما هو الشأن عند مسلمي روسية ولكن لعدم وجود المحاكم الشرعية عندهم والقضاة والمفتين الذين يولون وينصبون الائمة المتنحين من طرف أهالي القرى والبلاد يقتصرون في تعيين الامام عندهم على رضا الاهالي فقط ولا يضطرون الى كثير من التعب .

مسلمو الصين لا ينتخبون إمامهم مدة عمره (قيد حيات) كما هي الحال عند مسلمي روسية بل ينتخبونه لمدة ثلاث سنوات فقط ، فاذا لم يقصر الامام في تلك المدة في أداء وظيفته ورضي الناس عنه يعدون له ثلاث سنين أخرى . واذ هم لم يريدوا تركه إماماً لهم فانهم يعطونه كتاباً من الاهالي يطلبون فيه أن يترك البلدة لمدة شهر أو اكثر للسياحة.

ولما كانت هذه العادة عامة في جميع مسلمي الصين وكان الامام يعرف أهل

---

[1] معرب عن جريدة وقت العدد ٥٩٤

المسألة فانه لا يستغرب أمرهم بل يسافر عن البلدة كما يرغبون ويترك الاهالي وشأنهم، ويخبر بعنوانه في البلدة التي سافر اليها وبمدة اقامته فيها .

بعد سفر الامام ثلاثة أيام يجتمع الناس في الجامع ويتشاورون فيما بينهم في امر الامام . وفي كل بلدة من بلادهم يوجد كتاب يحفظ عند واحد من أعيانهم فينسخون عنه نسخة ويرسلونها الى الامام بعد أن يوقع عليها أعيان المحلة وكبارها . وفي هذا الكتاب بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله بيان ما أتى به الامام من الخير والاعمال الطيبة ويبينون بالكتابة أسباب اضطرارهم لتعيين امام آخر يقوم مقامه ويرسلون اليه أيضاً مع كتابهم هدايا شيئاً من الهدية .

معيشة أئمة الصين مضمونة لهم ، فمسلمو الصين سبقوا مسلمي روسية كثيراً من هذه الجهة ، توجد جمعية عملية للقيام بشؤون الجامع والمدرسة في كل بلدة أو قرية فيها مسجد جامع فالجمعية تبني الدكاكين والدور ذوات الريع للجامع والمدرسة وتسلم أجورها كلها الى الامام وهو ينفق منها كيفما يريد ومعلمو الاولاد والمجاورون وكثير من المسافرين يعيشون أيضاً من دخل المسجد والمدرسة. ويوجد في الائمة من يستأثر بتلك الاموال ، والجمعية لاتحاسب الامام الا مرة واحدة مدة ثلاث سنين ، لذلك نرى الائمة ينفقون الاموال على مصالحهم الخاصة من غير اهتمام بشيء ولا يكتبون ما أنفقوا ويمشون على رأي المثل « المستقبل يهتم به الشيطان » وذلك يكون في كثير من الاوقات سبباً في حرمانهم من مناصبهم .

ان مسلمي الصين يحترمون أئمتهم احتراما لامزيد عليه والائمة يحتفظون بمنزلتهم ومكانتهم فلا يكلمون الناس فقيرهم وغنيهم الاوقت الضرورة ويعدون الكلام مع العامة نقصا وحطة

وهم مع جهلهم متعصبون جدا حتى لو تصدق واحد من أهل المحلة على امام الجامع الآخر أو صلى العيد أو الجمعة في ذلك الجامع يخوفونه بالتكفير ويطردونه من المحلة الا اذا تاب على يد امام محلته ووعد أن لايعود لمثل ذلك .

وعادتهم في تشييع الجنازة وقراءة القرآن على الميت والتصدق في مجالس العلماء كعادة مسلمي روسية ولكن الائمة لا يأخذون الصدقة بأيديهم بل يأمرون بوضعها على منضدة معدة لذلك في بيوتهم . وكذلك في الاعياد لا يأخذون الصدقة بأيديهم بل يضعون صندوقا يلقي فيه كل واحد ما تسمح به نفسه من الصدقة وهي للامام والمؤذن ومعلمي الاولاد

وعلى كل حال فان معيشة أئمة الصين أحسن بكثير من معيشة أئمة مسلمي روسية، ولو أصلحوا جمعياتهم المار ذكرها لكانت فائدتها أكبر للمكاتب والمدارس.

مسلمو الصين ايضا (١

انعقدت جمعية عمومية لمسلمي بلدة فودزدن قرب مدينة خاربين وأخذوا صورة الحساب من امامهم ليعرفوا مقدار دخل الجامع وما أنفق منه مدة ثلاث سنين ومقدار ما بقي لهم من الاموال ، وامتدت جمياتهم ثلاثة أيام بين نزاع وخصام حضرها معظم مسلمي فودزدن من العامين والاغنياء والفقراء . وكان لهم ثلاثة أشخاص منتخبين لكتابة مقدار الدخل والنفقة ولكن هؤلاء الثلاثة اكتفوا بجمع المال وتسليمه الى الامام وهو أيضا استرسل في انفاقه على مصالحه الخاصة على مايظهر من غير اهتمام بشيء

تجارة المواشي

تجارة المواشي في الصين كلها تقريبا في يد المسلمين ، وسكنة نواحي خاربين من مسلمي الصين اتفقوا فيما بينهم على دفع مقدار ٢ مليما عن كل بقرة و ١٥ مليما عن كل شاة من أموال التجارة لفائدة الجوامع ، فعلى هذا يبلغ دخل ثلث الجوامع من المواشي في مدة ثلاث سنين عشرين الف روبل تقريباً ومجموع دخلهم زهاء ثمانية وعشرين الف روبل ولا تزيد نفقتهم في تلك المدة على ثمانية عشر الف روبل . ويظهر أن امامهم هذا لم يتأخر كثيرا في جمع الاموال مثل إمامهم السابق الذي غادر فودزدن ومعه أموال كثيرة

﴿ اسلام يهوديين [٢] ﴾

(في بغداد)

(أو عناية العرب والعلماء بالدين الاسلامي)

قد عرف الاسرائيليون بالعصبية الدينية وعدم الخضوع لغير شريعتهم حتى قيل : إن الايمان لا يدخل قلب يهودي ولا خوذي . . وربما كان ذلك مسبباً عن اضطهاد جهال المسلمين اياهم وسوء الصحبة معهم وايذائهم واهانتهم انحاء الاذى والمهانة . . . وبعد ما أضاء البلاد الاسلامية بدر المساواة وشمس الحرية وقضى القانون على المسلم أن يتساهل مع اليهودي وسائر الذميين تبدلت المضاضة بالحنان واستحال التباغض رأفة وعطفاً فلا غرابة والحالة هذه لو رأينا اليهودي وغيره يستشير المسلم ويسترشده في

١) عن جريدة وقت عدد ٩٧٨ تصدر في كورين (٢) لصاحب الامضاء

العادات في الاكل والطعام

لا يزال اكثر وثنيي الهند يأكلون على ورق الشجر كما كانوا قبل الفتح الاسلامي الذي غير كثيراً من عاداتهم ولا سيما عادة العري ، ولا يؤاكلون أحداً من غيرهم فلا يضيفون أحداً ولا يقبلون ضيافة أحد لاعتقادهم أن جميع الناس نجس.

أما المسلمون فهم أهل الضيافة والكرم والحفاوة الصحيحة وعاداتهم في الاكل كعادات عرب الجزيرة يمدون السماط على الأرض ويضعون عليه الطعام ويأكلون بأيديهم واكثر طعامهم الأرز مع اللحم يأخذون منه بالخمس ويدفعون بالراحة ، ولا تكاد تستعمل الموائد المرتفعة والملاعق والسكاكين في داخل الهند الا في بيوت الأمراء وبعض المتعلمين على الطريقة الأوربية من رجال الحكومة وأضرابهم ، وانما يكون ذلك في الغالب لاجل ضيف غريب يعلمون أن ذلك من عادته ، وقد يسألونه ويخبرونه ، وفي بمبي يأكلون على الموائد المرتفعة ولكن بأيديهم في الغالب، وفي الدعوات الكبيرة التي اقيمت لأجلي في بمبي رأيتهم يضعون لكل أربعة أو خمسة مائدة صغيرة عليها صينية من النحاس يجلس الناس حولها على الكراسي ويأكلون بأيديهم كل طعام الا المهلبية (ومثلها الكريمة) فيضعون لاجلها ملاعق صغيرة يأكلونها بها وهذه عادتهم في داخل الهند ايضاً ، وانه ليوجد في دار الغني منهم عشرات من الصواني النحاسية والموائد الصغيرة فقد أدبت لي عدة مآدب كان يحضرها مئات من الناس .وما حضرت مائدة على الطرز الاوربي من كل وجه الا مائدة الامير الكبير راجا محمود آباد في لكنهو حتى ان الآكلين الذين كانوا معنا عنده قد التزموا الاكل بالشوكة والسكين ، وكنا في ضيافة النواب الكريم فتح علي خان بلاهور نأكل على الارض بأيدينا ولكنه اذا جاء ضيوف من الافرنج أوالمتفرنجين يعدلهم مائدة أوربية الطرز ، وصديقي الشيخ قاسم ابراهيم في بمبي يأكل على الطريقة الاوربية أيضاً ، وانما الكلام في عادات مسلمي الهند في دعواتهم. وكانت مائدتنا في ضيافة الشيخ الجليل النواب وقار الملك في عليكره على الطراز الاوربي كل يوم الا أن الكثيرين كانوا يأكلون معنا بايديهم

وقلما يوجد في داخل الهند أفران ولعل ما يوجد منها خاص بالافرنج حيث يكثرون . وأهل الهند يخبزون في بيوتهم واكثر خبزهم الرقاق يخبزونه على الحديدة التي يسمونها في سورية «الصاج » ، ويليه الخبز التنوري

وبخه بعض المسلمين وهدده بان اخوانك من يهود بغداد يتربصون لايذائك الفرص، فقال بكمال الجد: انني أحب الاسلام والآن قد عشقته ولا أبالي بكل أذى في سبيله ولو قتلوني شر قتلة فاني لا أرغب عنه وحق الله فلا أرجع عنه

فأكرمه بعد ذلك شيوخ العرب العظام وتعهد سمو الشيخ مبدر الفرعون الافخم ان يقوم بتربيته وقضاء حوائجه وحراسته . وتعهد اخوه سمو الشيخ مزهر الافخم بأن يزوجه اذا رجع الى حيه ثم ارسلوه الى الحمام فتطهر مما كان عليه وبقي في خدمة الشيوخ

وهذا ثالث اجنبي دخل في مدحنا (والحمدلله)

وبلغني أن يهودياً آخر أسلم بعده على يد هؤلاء الشيوخ الكرام وأكرموا مثواه ولا غرو فان هؤلاء الذوات الرؤساء أصحاب الايادي البيضاء في خدمة الدين والدولة وترويج المعارف

ولا سيما حضرة الشيخ مبدر ودمه الله مرضاته وصير مستقبل حاله خيراً من ماضيه واخرجهم من كل هم هم فيه

هبة الدين الشهرستاني
النجف بالعراق صاحب مجلة العلم

﴿ الدعوة الى النصرانية في الروسية ﴾

ان بعض الروحانيين من الروس أرادوا تنصير ولد من القوزاق عمره ١٢ سنة يوم عيد الفصح في سوق شبلي بولاية اورالسكي . فسمع القوزاق المجتمعون في السوق هذا الخبر وأرادوا انقاذ الولد منهم وتثبيته في الاسلام وبحثوا عما يوصلهم الى ما أرادوا من الاسباب واستعانوا أيضا بالتتر من سكان السوق . وعند ذهاب الروس بالولد الى الكنيسة لاجراء الرسم فيها . خرجت من بين المسلمين المترصدين لأمرهم امرأة وهي أسماء بيكه خانم قرينة ميرزا شيرين وأخذت الولد من أيديهم واقتادته الى بيتها وربته يومين، وفي تلك المدة وصل الخبر الى أبي الولد وأقاربه فجاءوا من محل اقامتهم « قره آغاج » التي تبعد عن سوق شبلي ٨٠ كيلومترا وأخذوه اليهم . ولكن بعد أن أخذت أسماء بيكه خانم الولد أرسل القسيس الى بلدة لبانسكي بخبر بوجود الفتنة بين المسلمين وطلب اعانة عسكرية . فجاءت كوكبة من الفرسان ولكنهم رجعوا من حيث أتوا لعدم وجود الفتنة وبناء على نصح بعض المأمورين . ومع ذلك فقد كتبت أسماء عدة أشخاص

الاوربية فان الكثير من النسيج الذي يلبسونه أو أكثره من صنع الهند . وحسبهم الضرائب الفاحشة التي تأخذها الحكومة الانكليزية منهم ولو كانوا في التفرنج كالمصريين لكان يندر أن يوجد فيهم غني أو متوسط في الثروة

ينام الفقراء على الأرض وأهل النعمة واليسر على سرر من الخشب ويقل من هذه السرر ما كان سريراً تاماً تنصب عليه الكلة (الناموسية) والكثير الشائع بقوائم ليس لها عمد مرتفعة ووسط مشدود بامراس متشابكة قد تغني عن الفراش

والصناعات الوطنية والمعامل المشيدة على الطريقة الأوربية كثيرة في الهند وهي للافراد وللشركات الوطنية فالهند من هذه الجهة أرقى من مصر والآستانة فما دونها من البلاد الشرقية ولعله لا يفضلها الا بلاد اليابان

التعليم الدنيوي والديني

للحكومة مدارس كثيرة في جميع البلاد والتعليم فيها دنيوي محض ـ الغرض منه نشر اللغة الانكليزية واعداد عمال صغار للحكومة، وتحويل الافكار والقلوب عما هي عليه من المقومات والمشخصات الاجتماعية والملية ، واشرابها عظمة الدولة الحاكمة وترغيبها في العادات التي تروج تجارة أمتها في البلاد ، فالتعليم في هذه المدارس لا يرتقي بالامة الى أعلى من المقاصد التي وضع لاجلها ، ولولا ذلك لأمكن للحكومة الانكليزية أن ترقي أهل الهند في هذه المدة التي استولت عليهم فيها الى الدرجة العليا، فقد علمت وربت منهم عدة أجيال. ولكن هذا ليس من المعقول وانما المعقول هو الذي عملته فهو عين الحكمة التي قامت به مصلحتها ، وثبتت به سلطتها . ولدعاة النصرانية مدارس يقفون فيها عند حدود مدارس الحكومة في التعليم الدنيوي ويزيدون فيها تعليم الديانة النصرانية

وللأهالي مدارس كثيرة أرقاها واكثرها مدارس المجوس في بمبي والوثنيين في بنغالة ثم في غيرها ، ويذهب كثير من الوثنيين الى مدارس أوربة ومدارس اليابان العالية فيتممون دروسهم ويتعلمون من العلوم النظرية والعملية ما لا يوجد في شيء من مدارس الهند . ولطائفة السنك من الوثنيين عناية بتعليم دينهم ونشره بالدعوة اليه وتعليمه ، وهذه نزعة جديدة لم تعرف عن أحد من وثني الهند من قبل ، وهم على وجود الاصنام عندهم موحدون ، وقد أسمعنا كاهن منهم طائفة من كتابهم المقدس فاذا هو من أعلى الكلام في توحيد الله تعالى وتقديسه وتوجيه

الشرعية المبنية على القواعد الاصولية ، فمن كان من أهل الدليل يزداد بها بصيرة في دينه ، ومن كان من أهل التقليد يعرف منها أقوال الفقهاء الذين يقلدهم الناس

وفي هذه المجلدات المعبر عنها بالفتاوى قواعد في العقود والشروط والمعاملات قد أظهر فيها الشيخ من حكمة الشريعة الاسلامية ويسرها وسماحتها وموافقتها لمنافع البشر ومصالحهم مالا نعهد مثله من غيره وهي جديرة بأن يطلع عليها كل مشتغل بالفقه مهما كان مذهبه فيه

وفيها أيضاً كتاب المسائل التي اختارها ابن تيمية والتي انفرد بها وهي مرتبة على أبواب الفقه

فنحث جميع المشتغلين بالعلم الديني بل ننصح لهم بأن يطلعوا على هذه الفتاوى ـ أو الكتب الفقهية والكلامية ـ وعلى جميع ماتمكنهم الاطلاع عليه من كتب شيخي السنة ونصيريها : ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية فانه مامن أحد يطلع عليها الاويرى نفسه قد ارتقى في علوم الدين ارتقاء لايجد له وسيلة أخرى في كتب غيرهما من العلماء. وقد قال لي أحد علماء المالكية الاعلام الراسخين الاصلاحيين المعروفين في الشرق والغرب اني عند ما اطلعت على هذه الكتب ندمت وأسفت اني لم أكن اطلعت عليها في أوائل زمن اشتغالي بالعلم ... وهذه الفتاوى تطلب من طابعها الشيخ فرج الكردي ومن مكتبة المنار في شارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ ياحسرتي عليك يازعيتر ﴾

لما أنشأ شكري افندي الخوري جريدته (ابو الهول) في (سان باولو) عاصمة البرازيل جعل ينشر فيها نبذاً متتابعة من قصة له سماها (ياحسرتي عليك يازعيتر) يكتبها باللغة العربية العامة الرائجة في لبنان وغيره من البلاد السورية ـ موضوعها تاريخ المهاجرة من لبنان وغيره الى الممالك الامريكية لطلب الرزق وكيف كان بدء هذه والترقي فيها . وهو موضوع جليل مفيد ، وكتابته باللغة العامية تجعل فائدته أعم إذ يفهمه العوام والخواص ، ثم رأيناه ترك نشر هذه القصة في الجريدة وتوسع في المسائل السياسية ومناقشات الجرائد فيها فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ولعله راعى في ذلك ميل جمهور القراء الذين لايرون للجرائد قيمة الا السياسة وفتنها ، ولا يعرفون قيمة الكتابة في تاريخ جيلهم وبيان عاداته وأحواله وهي أنفع ما يكتب للجمهور وأكثره فائدة ولا سيما مايكتب منه بقلم الانتقاد والعبرة كقلم شكري افندي

ثم جاءنا الجزء الاول من قصة (ياحسرتي عليك يازعيتر) فعلمنا أن صاحبنا عزم على طبع هذه القصة المفيدة أجزاء متفرقة فسرنا أنه شارع في اتمامها ونشرها ، وقد وضعت هذا الجزء على مكتبي لا تذكره اذا سنحت لي فرصة فراغ فأقرأه فيها فلم تسنح هذه الفرصة الا في سفري الى الحدفكان لي تسلية وتمنيت لو كان سفرا كبيرا ، فهو قد جمع بين اللذة والفائدة فقد أضحكني وأبكاني غير مرة ، وأفادني فوائد متعددة ، واذا كنت أنا قد استفدت منه فوائد تاريخية واجتماعية فان فوائده للعوام أعم فانه يعلمهم كيف يحافظون في السفر والحضر على صحتهم وعلى أموالهم ، وعلى آدابهم واخلاقهم ، ويبصر مريدي المهاجرة بما يقدمون عليه ، وما يحتاجون اليه فيه ، فأشكر للكاتب عمله شكرا أوجو ان يكون منشطا له على الاسراع بانجاز هذه القصة وطبعها ، وحبذا لو عاد الى نشرها تباعا في جريدته غير ملتفت الى من يجهلون فوائدها من المتنطعين ،

يظن بعض الناس ان مثل هذه الكتب والرسائل التي يكتبها شكري افندي باللغة العامية تضعف اللغة العربية الفصيحة وهذا الظن خطأ بل هي سلم لترقية العامة فيها فانها ليست عامية محضة بل هي ممزوجة بالفصيح السهل ، وهي لا تضر الخاصة اذا قرأوها

باب الأخبار والآراء

﴿ الانكليز في جنوب ايران والخليج الفارسي والبلاد العربية ﴾

يجد الانكليز في استعمار حصتهم من بلاد إيران التي نالوها بالقسمة مع روسية (وهي القسم الجنوبي المتصل بالبحر) وانما يجدون بالعمل الاقتصادي والسياسي لا بالحروب والغارات والفتن كما تفعل روسية ، وان روسية بل ان فرنسة التي هي اعلم منها واغنى من دهاء الانكليز وبراعتهم في الاستعمار ، اخذ الانكليز من إيران امتياز استخراج زيت البترول من الاحواز ، ومدوا من منابع الغاز الى عبادان في

شاطئ الخليج الفارسي سكة حديد ، واخذوا يشيدون المباني الصناعية والمستودعات والقصور في عبادان (وكانت تسمى جزيرة بريم) وسموها (عبادان لندن) ويقال انهم جعلوا للشيخ خزعل خان ألف جنيه في السنة في مقابلة الارض التي اخذوها من عبادان على الشاطئ . وهي بالقرب من بلدة المحمرة حتى ان الباخرة الانكليزية التي ركبتها الى البصرة كانت تحمل ادوات كثيرة الى عبادان فلم تقف عليها بل وقفت امام المحمرة وفرغت هناك شحنها في الفلك الحوامل التي تنقله الى شاطئ عبادان ، فما أجهل حكومة إيران؟!

ثم انهم يرسلون رجالهم السياسيين والحربيين الى الثغور الايرانية وكل بلد يعدون نفوذهم فيه ، وكل هؤلاء الرجال يعرفون او يتعلمون اللغة الفارسية واللغة العربية ، وقد كان معنا في احدى البواخر التي ركبناها بين الهند والخليج ضابط انكليزي بزي عادي (اي غير عسكري) يقرأ طول نهاره ويترجم بالعربية والفارسية ويتعرض للكلام مع بعض المسافرين من العرب على خلاف عادة الانكليز ، والحاجة تغير العادات . ـ وقد علمت انه منذ سنتين او أكثر لا يوجد في ثغر ابي شهر حاكم من قبل الحكومة الايرانية وانما الاحكام كلها في يد قنصل الانكليز ، وهذا الثغر هو أهم ثغور ايران ، فاحسرتا على حكومة ايران

ان القوى التي يفتح الانكليز بها الممالك الشرقية هي علمهم وجهل أهل هذه الممالك وجهل حكومتها وظلمهما ، ثم المال الذي يستخدمون به فريقا من أهلها في مصالحهم ، وينشئون به من الاعمال والمصالح ما يثبت به اقدامهم ، ويرون الناس ان الخير والعمران والامان إنما تكون بوجودهم ، ثم مراعاة سنن الكون ونظام الاجتماع في العمل فلا يدخلون في شيء الا بعد تمام الاستعداد للنجاح فيه ، ووراء ذلك كله قوة الاسطول والعسكر ، ولا يستعملون هذه القوة الا عند الضرورة ، ويأخذون فيها بالشدة والحزم في الارهاب فيوجهون منها الى الشيء اضعاف ما يستحقه حتى لا يطمع الخصم في المقاومة فيحتاجون الى الحرب والضرب الذي يؤرّث الاحقاد ويؤسس الحفائظ التي لا تؤمن عاقبتها

ليست هذه الدولة الطامعة مكتفية ببث نفوذها وتثبيت قدمها في بلاد ايران بل هي تمهد السبل لامتلاك ما يقابلها من بلاد العرب كمسقط وسائر بلاد عمان وما يليها من السواحل العربية الى الكويت حتى البصرة ، فقد مكنت نفوذها في مسقط وقيدت سلطانها بمعاهدة تجري عليه تبعات كثيرة وتفتح لها منافذ السيطرة

عندما تشاء،وبلغني وانا في البصرة ان الانكليز اتفقوا معه في هذه الأيام على منع ادخال السلاح الى مسقط على ان يعوضوا عليه ما يربحه من المكس (الجمرك) الذي يأخذه على ما يدخل منها كل عام ، ولم يكتفوا بهذا بل اتفقوا معه ايضاً على جمع السلاح الذي في أيدي الأهالي وإعطائهم ثمنه ، وبعد ذلك يجعلونه عنده ليكون هو المسئول عن كل حركة ثاروية في بلده ، وماذا يستفيده هو او تستفيده البلاد من وضع السلاح في قصر السلطان وهو على شاطئ البحر بجوار قنصل الانكليز والبوارج الانكليزية امامها في كل حين ؟ وما ادري لماذا يختار هذا السلطان المقام في هذه البلدة التي هي في هاوية شديدة من الحر بين جبال جرداء محدقة بها تحت نفوذ قنصل الانكليز ولا يجعل مقامه في الجبل الأخضر الذي هو جنة عمان

وأما ما فعله الانكليز من الشدة في دُبَي في العام الماضي فقد كان من شذوذهم ولعلهم ندموا أن فعلوه كما ندموا في مسألة دنشواي كما يظن، فان أهل دبي قد نفروا منهم بعد ذلك اشد النفور ولم يرض شيخهم بعد ذلك ان يكون للانكليز في دبي موطئ قدم لا للبريد ولا لما هو فوق البريد وانذرهم بأنهم اذا ارادوا ان يحدثوا فيها حدثاً بالقوة فان جميع الأهالي يتركونها لهم ويرحلون عنها !

وبلغني أنهم طلبوا ان يحصوا الغواصين في البحرين ويجعلون لهم دفاتر يحصون فيها ما يجمعونه من اللؤلؤ كل عام ، فلم يقبل شيخ البحرين ولا الاهالي هذا الاقتراح بل احدث عند الجميع وسوسة فاعتقدوا ان الانكليز يمهدون السبيل بذلك الى مشاركة أهل الخليج في رزقهم هذا وانهم ربما يعاملونهم بعد ذلك كما يعاملون الغواصين في جهة سيلان اذ تأخذ الحكومة الانكليزية منهم ٦٥ او ٧٥ في المئة مما يجنونه فلا يكون لهم منه الا مقدار القوت الذي يعيشون به لأجل أن يتمتع بالثمرة غيرهم . هذا ما يتحدثون به والخوف على مستقبل هذه البلاد عظيم والجهل عام فلا يدري الناس ما يعملون ، ولله الامر من قبل ومن بعد

طلب المسلمين المقيمين بألمانية مساعدة الدولة

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله على نعمة الاسلام والصلاة والسلام على خير الانام . أما بعد فنحييكم بتحية أهل الاسلام ، ونسأل الله لنا ولكم الهداية وحسن الختام ونرفع اليكم بهذا ما يأتي . تعلمون أن الدولة العثمانية صاحبة الخلافة العظمى وحامية الحرمين الشريفين قد بغت وتعدت عليها حكومة ايطالية الظالمة وناوأتها العدوان والحرب في ولاية طرابلس افريقية المتاخمة لمصر . وحيث أن الامة الاسلامية أمة واحدة بدليل قوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة » وحيث أن المسلمين أخوة يجب عليهم معاونة بعضهم بعضا بدليل قوله تعالى « إنما المؤمنين أخوة » وقوله عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

وحيث أن الله جل وعلا قد أمرنا في كتابه أن نرد كيد المعتدين علينا بدليل قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم » فيجب حتما على كل مسلم ومسلمة يؤمن بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله أن يدفع هذا العداء الذي نزل باخواننا في الدين ببذل نفسه وماله بدليل قوله تعالى « وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله » وأي سبيل لله أقوم وأفضل من المجاهدة لدفع حكومة ايطالية الباغية على اخواننا المسلمين

لهذا ندعوكم أولا أن أعينوا دولة خلافتكم في حربها هذا ببذل المال والنفس كل على قدر طاقته واستطاعته لان في ذلك إعانة لاخوانكم المجاهدين بطرابلس وأن تقطعوا كل معاملة تجارية ومعاشية مع الطليان المقيمين النازلين والمقيمين ببلادكم أي تقاطعون مقاطعة تامة

هذه دعوتنا اليكم كتبناها بدم قلوبنا نرجو منكم اذاعتها ونشرها بين اخواننا المسلمين بطرفكم كما انا نرجو توزيع النسخ المرسولة مع هذه على بعض الاخوان لقراءتها بالمساجد أو نشرها بالطرق التي تستحسنونها . ونحيطكم علما أن هذه الدعوة قد بعثت أيضا الى أطراف العالم الاسلامي . وانا نتضرع الى المولى عز وعلا ان يلهمكم الصواب وأن يثيبكم على أداء هذا الفرض الديني ثوابا عظيما

اخوانكم في الدين
المسلمون المقيمون بألمانية

محرم . اسماعيل حقي . علي وفيق . نوري